يكفي للتخلص من المسائل المحيرة أن توصف بانها معضلة لا حل لها لكان التفصي منها في غاية السهولة

ثم قال ومن هذا ترى انه لا يزال من حق الحكمة ان توجد مع العلم وانه يبعد عليهما التنافر والتنائي لان من شأنهما التضافر والتوافي ثم قال ان كثيراً ممن يميلون الى محو دراسة المذاهب الدينية والحكمية متقادون في هذا الى حاجة طبيعية للانتقام وهم لا يشعرون فانهم قد رأوا الحكماء ورؤساء الاديان المقررة في أيامنا هذه بلغوا من تعاطيهم للمظالم ومتاجرتهم بالسرائر ومقارنتهم للفظائع مبلغا لجاء العقل في اشمئزازه من سيرتهم الى الجحود المطلق فالظلمة منهم رجال هم دعاة الالحاد لا الماديون. انتهى ما أوردته من التربية الاستقلالية

فقال أحد الشبان اذا وصف الفونس (اسكيروس) بعض الاوروبيين بالجهل والغباوة ووسم الملحدين بأنهم احداث الدكاترة وسخرمنهم فما يكون حال الانبياء والدكاترة الشرقيين ؟

قال الاستاذ لقد علمتم السر في بغض بعض شبان الافرنج للدين ليقتصوا من رؤساء دينهم فما أجهل الشرقي المقلد انه لجهول وأي ذنب جناه رؤساء دينه الفقراء المظلومون المهضومون واذا اتبعنا الغربي في فسوقه أفلا نتبعه في ايمانه والله ان الغربيين منا لساخرون وأختم مقالي بحديث عجيب ذلك أن عظيما من عظماء بلادنا تلاقي مع المدام (لبيديف) العالمة الروسية الشهيرة وأنا معها جالس فتكلما بالفرنسية وعلا بينهما الجدال وازداد الخصام فلما أن خرج قالت ان هذا الرجل ليس بعليم فقد أنكر الدين الاسلامي وهو يظن أنه بذلك يحظى بالشرف لدي فقمعته بالحجة وطوقته بالتقريع فما لرجالكم لا يتعلمون ومالهم عن التذكرة معرضين ؟

هنالك شكر الشبان الثلاثة للاستاذ واستأذنوه في نشر الحديث فأذنهم وانصرفوا فرحين وبالبرهان موقنين

أحدهم

الهداية

غرة الشهر

القاهرة في ذي القعدة وذي الحجة سنة ٣٢٨ هـ نوفمبر ودسمبر سنة ٩١٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

اسرار القرآن

غرة الشهر

(وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)

بعد أن بسط الله الادلة الناطقة بوجوده وألزم المعاندين الحجة بصدق رسالة رسوله النبي الامي. وفضح للعالم أمر المعاندين وعجزهم عن الاتيان بشيء من أمثال سور القرآن وآياته أخذ يحذرهم عاقبة بغيهم واصرارهم على الكفر من غير شبهة ولا سبب سوى استكبارهم في الارض واستهجانهم أن ينقادوا وهم علية القوم وجلتهم لرجل لم يعرف فيهم من قبل بالحكمة والدرس ولم يكن له من المال ما يجعله رأساً في قومه (وقالوا لولا نُزِّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) ولما كان من عادة الكتاب الكريم الجمع بين

الوعد والوعيد والتبشير والتحذير قال فى سبيل ذلك مخاطبا الرسول عليه السلام (وبشر) يا محمد « الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الانهار الى آخر الآية

دلت هذه الآية الكريمة بصريح عبارتها أن الله تعالى وعد الذين يعملون الصالحات من المؤمنين جنات وبساتين أشجارها مظللة وأنهارها جارية مطردة وثمارها شهية متشابهة وأزواجها نقية مطهرة

يزعم كثير من أغرار المسلمين وجهالهم أن مجرد قول لا اله الا الله أو مجرد دعوى الايمان كافية فى نيل الانسان مثوبة الله ووعده الذى بشر به عباده الصالحين فى قرآنه وان حرفوا وأولوا فى آياته . أو عصوا الله واتبعوا خطوات الشيطان . أو اتخذوا علماؤهم أربابا من دون الله يأتمرون بأوامرهم وينتهون بنواهيهم نابذين كتاب الله وسنة رسوله خلف ظهورهم محاربين الله ورسوله بما يأتونه من مخالفتهما سراً وعلناً .

يفعلون جميع ذلك ثم يزعمون أنهم من عذاب الله ناجون وان أمة (محمد) كما يقولون فى مأمن من أن يصيبها شئ من غضب الله وبطشه .

(وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه . قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء)

ومنهم من جعل يتأثر الاحاديث الموضوعة والقصص المصنوعة فيتصور عذاب الله وجحيمه كأنها دار لذة ونعيم يشعر فيها أهلوها بمثل ما يشعر به أهل الجنة فهم يتلذذون بصنوف العذاب والآلام كما يتلذذ هؤلاء بما فى الجنة من الطيبات . ومن آثار هذه الخزعبلات فى أنفس مبتدعيها ومقلديهم من مستمعيها أنها تهون عليهم أمر العقوبات الاخروية فتسهل عليهم بذلك

ارتكاب الآثام وانتهاك المحارم واجتراح المظالم والاستخفاف بكل ما جاء به كتاب الله تعالى من ضروب التهديد والوعيد . وقديماً كان غيرهم من أهل الكتاب مع اقرارهم بان هناك ناراحامية سيصلاها من كذب وتولى يقولون (لن تمسنا النار الا أياما معدودة) (قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده . أم تقولون على الله ما لا تعلمون)

يتصفح القارئ القرآن الكريم فلا يكاد يجد كلمة (الذين آمنوا) الا مقرونة بعبارة (وعملوا الصالحات) (١) ولا كلمة آمن الا مشفوعة بقوله (وعمل صالحاً) (٢) وفى هذا اشارة الى أن مجرد الاذعان من غير عمل يكاد لا يفيد صاحبه شيئاً وسواء فى ذلك من يقول أن الايمان شئ والاسلام شئ آخر ومن يقول بانهما معاً مترادفان . فلقد سبقت كلمة الله تعالى أن من لم يأت بالافعال القويمة والاعمال الصالحة النافعة فقد باء بغضب من الله . جزاؤه فى الدنيا الذلة والمسكنة وفى الآخرة عذاب عظيم

قرر علماء النفس كما أسلفنا أن الايمان يستتبع ظهور آثاره على الجوارح وقد سبق لنا ذكر كثير من الافعال التى سقناها لترى منها أن دعوى اليقين بالشئ اذا لم تقرن بالاعتقاد الظاهر وعمل الجوارح كانت دعوى كاذبة لا يصدقها عاقل ولا يقبلها مفكر . وفي القرآن من الشواهد لذلك كثير من الآيات الكريمة (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم — أى بالخروج للجهاد — ليخرجن . قل لا تقسموا . طاعة معروفة) أى حسبى فى الحكم على صدقكم

(١) راجع السور الآتية : الرعد وشورى والمائدة والفتح وابراهيم والحج ويونس والبقرة والطلاق وآل عمران والنساء والشعراء والنور والسجدة والجاثية

(٢) البقرة والمائدة والكهف ومريم وطه والقصص وسبأ

ومبلغ يقينكم وايمانكم طاعة معروفة ظاهرة الاثر تنطق بما أضمرت نفوسكم وكسبت قلوبكم — ولهذا ختمها بقوله (ان الله خبير بما تعملون)

بسط الله لنا في كتابه الكريم آيات المنافقين وأرانا أن ممن يزعمون أنهم مؤمنون قوماً أفاكين كاذبين غير صادقين. فمن ذلك قوله تعالى في التعريض بهم والايماء الى خصائصهم ومميزاتهم (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) ومعنى هذا أن من الدعاوى الباطلة والافك المبين أن يقول الانسان أنا من المؤمنين وقد طفح صدره بالشبه والشكوك. ومن الكذب الصراح أن يدعي الشخص الايمان وقد ملك الشح مجامع قلبه وقبض البخل يديه فلا يكاد يجود في سبيل الحق والعلم والنور والهدى والعزة بشيء من ماله أو عمله.

كذلك دأب أهل هذا العصر يزعمون أنهم مسلمون. ولو أنهم صدقوا في زعمهم هذا لأبصروا كيف تتخطف بلادهم من كل جانب وكيف يسامون الخسف والعذاب الاليم في جميع أطراف الارض. ولو أنهم صدقوا في زعمهم لأدركوا أن الاسلام كاد ينمحي من الارض عزه وسلطانه. وانه قد تنقضت صروحه وأركانه. وذل بين الامم أمراؤه وأساطينه. ولو أنهم صدقوا في زعمهم لعقدوا الخناصر على اسعاد دولتهم العلية حامية حمى الاسلام والدافعة عن بيضته شرور الكائدين له المتربصين به الدوائر ولاستجابوا لها يوم دعتهم الى مظاهرتها على تكوين أساطيل قوية مصفحة تامة السلاح تدرأ بها أعداء الاسلام عن بيوت الله المقدسة وتقر بها أعين المسلمين في هذا الجيل بعد أن أصبحوا تنتهب حقوقهم انتهابا وتزدرى جامعتهم ازدراء. ولقاموا لمعونتها بما ملكت أيديهم من المال وبما بين جنوبهم من الارواح.

أمر أمير المؤمنين بجمع الصدقات والاعطية في سبيل الله. سبيل الحق سبيل العزة. سبيل سلامة الجامعة الاسلامية. سبيل حماية الدين الحنيف دون كيد الكائدين ومكر الخائنين. فماذا قدم له مسلمو مصر والجزائر وتونس ومراكش وفارس من المعونات وهو الخليفة الذي تجب طاعته ما أقام الحق ونصب موازين القسط؟ ماذا عملوا وعليهم من زكاة أموالهم وصدقات فطرهم مالو جمع عشر معشاره لجعل الدولة العلية دولة الخلافة الاسلامية أشد الدول بأساً. وأعظمها قدراً. وأنبهها شأنا. وأرفعها ذكراً؟

يدعون أنهم مؤمنون حتى اذا دعوا الى الاعمال القويمة التي لا تبقى أمة الا باقامتها ازوروا وتراجعوا ثم استعصوا وتقاعسوا كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون.

يشكون الجهل وبأيديهم شاده. ويتضجرون من الذلة التي أصابتهم وبأعمالهم السيئة طوقوها. ويتمنون العزة ولا ينفقون في سبيلها نقيراً ولا فتيلا. ويسبون الدهر وما الدهر الا قلوبهم الضعيفة. وايمانهم الواهن. وتخاذلهم وقد تناصر أعداؤهم. وتفرقهم اذ تجمع محاربوهم.

يريدون أن يبقوا خلفاء في الارض وقد تركوا أموالهم نهباً للمرابين. وحمامهم مستباحا للغاصبين وأسواقهم معرضاً لما يصنعه غيرهم من الامم ومداركهم خالية الا من قشور العلوم مشفوعة برذائل الاخلاق وانحطاط الآداب.

ان الله لم يعد أمثال هؤلاء أن يكونوا خلفاء في الارض وانما (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم

أمنا) [1] وكيف لا تنزل المظالم وتنصب الاهوال على من لم ينهضوا الى العقول فيثقفوها. والى الاموال فيستثمروها. والى الصنائع فيجيدوها. والى الاساطيل فيكثروها . والى المصانع فيقيموها . والى المصارف فيؤسسوها . أم كيف لا يحيق الصغار والهوان بمن اذا الاجنبي لم يقرضهم أفلسوا . واذا لم يطعمهم خمصت بطونهم جوعا . واذا لم يسقهم تقطعت رقابهم عطشاً . واذا لم يبعهم مصنوعاته فقدوا آنية الاكل والشرب واحتاجوا من اللباس ما يستر أبدانهم ويقيها حر الصيف وقر الشتاء ؟

الا أن الله تعالى قد قضت سنته فى خليقته أنه (من يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) [2] وأما أولئك الذين عطلوا الاعمال النافعة الصالحة وأضاعوا مواهب الله تعالى فى اللهو واللعب والباطل فلا مفر لهم من ظلم يذهب بعزهم . وهضم يأتى على قرارهم . وخوف ينتزع قلوبهم من صدورهم . ويمكّن أعداءهم من رقابهم . ولا أخال المستمعين لما أتلوه الآن الاموقنين بتلك العقبى التى طالما حذروها. فها نحن أولاء ننظر الي ما يفعل بالمؤمنين وما يكاد لهم فى مراكش وفى تونس والجزائر ومصر وكريت وبلاد الدولة العلية صانها الله وأدامها . وهل ما نحن فيه من العذاب الاليم الا وعيد الله تعالى وانذاره لنا فى كتابه الكريم اذ قال (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشّرهم بعذاب أليم) وقال عز شأنه (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) وقال تعالى (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم وما أولئك بالمؤمنين. واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون : وان يكن لهم الحق يأتوا

(١) سورة النور (٢) سورة طه

اليه مذعنين : أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله. بل أولئك هم الظالمون) فانظر كيف نفى الله تعالى الايمان فى هذه الآية عمن يؤمنون بألسنتهم ويعلنون طاعتهم لله ولرسوله حتى اذا جاء ميقات العمل تولوا عنه وهم معرضون فلا يرضون حكم الله فيهم الا اذا استيقنوا النجح وعلموا أنهم بالغو حاجتهم .

ويظهر أن المسلمين فى الاجيال الماضية التى جهلت فيها اللغة العربية لغة القرآن الكريم وطمست فيها آثار أسرارها لم يدركوا معنى عمل الصالحات فظنوها التزام أركان المساجد وسرد اسم الله تعالى أو بعض آيات القرآن على السبحة دون تفكر فيها ولا تدبر لمعانيها. ظنوا الاعمال الصالحة تجريد الارجل عن الجوارب والطرابيش من الاهداب «الازرار» ظنوا الاعمال الصالحة رواية الاحاديث المنفرة من الدنيا وزخرفها الحاضة على الانقطاع للآخرة بالعكوف فى عشر الدور وبالتزام زيارة القبور . ظنوا الاعمال الصالحة الا يأخذ المسلم الربا مع بذله للمرابين . وألا يبيع الخمر وان بات فى المدنين. ظنوا الاعمال الصالحة الاكباب على تجديد ما أبلاه كرور الزمان من خرافات الاولين . وبدع المبتدعين معرضين عن كتاب الله الذى هو المعجزة الخالدة والناموس القويم ظنوا الاعمال الصالحة أن يسمع المسلم الشبهات ترد على دينه فلا يهتز لدفعها ويري الظالمين يحاربون شريعة رسوله فيقول ان لها ربا يحميها .

زعموا جميع ذلك فأصبحوا مثلا فى الشقاء وغرضاً لسهام الاضمحلال والفناء . وان شئت فانظر ببصرك الى جزائر بحر الروم « البحر الابيض المتوسط » وسواحله الافريقية والاروبية ثم أخبرنى أين ذهب المسلمون وقد كانوا هناك أيام بني أمية وبني العباس يملأون السهول والجبال ويتصرفون

في الامور والاحكام معدودين فيها بعشرات الملايين . اقتف آثارهم فى اسبانيا وميورقه ومنورقه وصقلية وجنوب ايطاليا وجزائر اليونان فهل ترى لهم من باقية . اذهب الى بلاد الجزائر التي تحكمها اليوم فرنسا فانظر كيف انقلبت المساجد كنائس وكيف قامت الصلبان على أضرحة الاولياء وكيف نزح المسلمون عن المدن العظمى الى الجبال وقد رأوا من قوة الامة الفاتحة وبأسها ما لا قبل لهم به ولا طاقة لهم على مكافحته.

تدبر ذلك قليلا تفهم معنى عمل الصالحات الذى أمر الله به المؤمنين ورتب عليه سلامة الاسلام وصيانته . فان كنت لا تزال تخدعك بروق الآمال. ويقعدك عن طلب المجد الشح بالمال. والخوف على العيال. فسيخلو منك وطنك ولو أقمت به القرون الطوال وليصيبنك من الفناء والزوال ما أصاب تلك الاجيال . تلك سنة الله التى لا تتبدل وكلمته التى لا تتغير (قل ان كان آباؤكم أبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ان الله عزيز ذو انتقام)

وليُعلم أن للعاملين سبيلين فكل عمل نافع فهو سبيل الله الذى يجب الجهاد فيه كالتعليم والتربية والتجارة والصناعة والارشاد والبر بالوالدين والضعفاء والرفق بالحيوان وهكذا (قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)

وأما سبيل الشيطان فكل طريق معوج غير قويم وكل عمل ضار كاعداد ما تقدم وكالشح على الخير والبذل فى اللعب واللهو والقمار وهكذا من ضروب المفاسد والآثام .

ولقد وعد الله المؤمنين اذا أخلصوا لله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أن يكون لهم الامن وأن يكونوا من المهتدين فلا يزعجهم استضعاف أنفسهم ويخلع قلوبهم بأس أعدائهم ولا تنحرف هداتهم الى الخير عن سواء السبيل. أما الذين مزجوا الايمان بالظلم فآمنت ألسنتهم ثم جحدت قلوبهم ولانت كلمتهم ثم قست أفئدتهم فقد كتب الله عليهم الخوف الدائم حتى لا تهدأ لهم نفس ولا يطمئن لهم بال. كذلك كتب عليهم الحيرة والتيه فهم لا يجدون سبيلهم الى الحق. ذلك بما كسبت أيديهم وقست قلوبهم وغلظت أكبادهم . ولو أن الايمان وحده يكفى فى ارغاد عيش المؤمنين وطمأنينة بالهم وتمتعهم براحة القلب والامن لما عاد الله سعادتهم بسلامتهم من الظلم الذى يفسد على العالم أمورهم ويصير العامر من الارض غامراً قفراً (سنة الله التى قد خلت فى عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا) . هذا ولنرجع بك الى الوجه فى تأويل الجنات التى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات فنقول

يتصفح الانسان جميع كتب التفسير فى هذا الباب فيجدها تقصر هذا الجزاء الذى بشر الله به المؤمنين على ما عسى أن يكون يوم القيامة من البساتين والرياض التي أعدت للمتقين ولم يذهب أحد منهم الى تجويز أن يكون المراد منها ما يشمل جنات الدنيا ولعل سبب ذلك أن الجنة والجنات تنصرف فى لسان الشرع الى دار الخلد الاخروية .

ولكنهم فيما أرى لم ينصفوا اللغة — ولا اصطلاح القرآن الكريم. فأما اللغة فالجنة معناها البستان ذو الاشجار الملتفة والخمائل الكثيرة وأما اصطلاح القرآن فان القرآن أطلق الجنات على البساتين الدنيوية وتارة أخرى على الاخروية منها .

فمن الاول قوله تعالى [١] (وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا ان الله لايحب المسرفين).

وقوله تعالى [٢] (وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه).

وقال (٣) (وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون. وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم).

وقال (٤) (وأنزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد).

وقال (٥) على لسان سيدنا نوح (فقلت استغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً)

وقال (٦) (وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون)

وقال (٧) (فأخرجناهم — أى فرعون وقومه — من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين)

(١) سورة الانعام (٢) سورة الانعام ايضا (٣) سورة يس (٤) سورة ق (٥) سورة نوح (٦) سورة المؤمنين (٧) سورة الشعراء

وقال (٨) (كم تركوا — اى فرعون وقومه — من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين)

وقال (٩) (أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيراً)

وقال (١٠) (أو تكون له جنة يأكل منها)

وقال (١١) (فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى. ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى) قال أبو مسلم الاصفهانى فى جملة غيره من المفسرين ان جنة آدم كانت أحد بساتين الارض التى نحن فيها

وقال (١٢) (كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما) يعني آدم وحواء وقد علمنا من الآية التى قبلها رأي أبى مسلم وغيره

وقال (١٣) (كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً. وفجرنا خلالهما نهراً وكان له ثمر)

وقال (١٤) (لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال. كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور. فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل. ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور)

فأنت ترى من هذه الآيات الكريمة كيف استعمل القرآن الكريم كلمة الجنة والجنات فى معناها المعروف لغة دور وهو البساتين الدنيوية فليس هذه الالفاظ فى عرف الكتاب الكريم مقصورة على ما أعد الله فى

(٨) سورة الدخان (٩) سورة اسرائيل (١٠) سورة الفرقان (١١) سورة طه (١٢) سورة الاعراف (١٣) سورة الكهف (١٤) سورة سبأ

الدار الآخرة لعباده الصالحين . بل هو تارة يريد منها بساتين الدنيا وتارة بساتين الآخرة واذا لم تتم قرينته تتفاصل لتبين هذا أو ذاك فقصر الالفاظ على أحدهما تحكم واعتساف .

ومن هذا القبيل هذه الآية التي نحن بصدد شرحها وبيان أسرارها وهي قوله تعالى

(وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رُزقنا من قبل وأُتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون .

ذكر المفسرون كافة أن المراد بالجنات هنا جنات الآخرة وكذلك قولهم في أشباه هذه الآية الكريمة . ولقد أفرطوا فى ذكر أوصاف الآخرة خيرها وشرها وأغفلوا أمر الدنيا وما ابتلى الله فيها الخلائق . أغفلوا أمر الدنيا وما يصيب الانسان فيها من صنوف الخير جزاء على أعماله الصالحات ومن أنواع الشر عقابا له على ما اجترح من السيئات . ولو أنهم تدبروا سنة الله فى خليقته ودرسوا تواريخ الامم الخالية والامم الحاضرة وفتحوا للبحث والتنقيب أبصارهم لرأوا كيف يعجل الله للمحسنين من أنواع البر وصنوف الرضوان ما يكاد يعجز عن وصفه الانسان .

تقدم لنا أن المراد بعمل الصالحات أن يأتى الانسان بالاعمال القويمة النافعة له باعتباره فرداً ولأمته التي يعزى اليها باعتباره عضواً منها فيشمل ذلك الفنون والصنائع وتشييد المدارس واقامة المصانع وتأليف الجمعيات الخيرية والمعاهد الاقتصادية كما يشمل الهجرة فى طلب العلم وفى نشر التعاليم والرسوم الاسلامية . ومن جلائل الأعمال الصالحة اقامة الرباط فى الثغور لدفع العدو

عن البلاد وصنع الاساطيل الحربية لاعلاء كلمة الدين وتأييد شوكة المسلمين وهكذا مما حواه كتاب الله تعالى من النصح المبين والرأى المتين

فلو أن المسلمين أقاموا القرآن واتبعوا النور الذى أنزل معه وعملوا الصالحات التى دعا اليها وحث عليها لأصابهم الخير من كل جانب ولكانت لهم جنات لا تفتأ الانهار تجرى من تحت أشجارها متخللة اياها حتي لا يصيبها ظمأ يُذوى غصونها ويُذبل أوراقها ويجفف ثمارها وحتى تكون الاشجار والبساتين وان كانت أجمل شئ وأنقه جديرة أن تبهج النفوس وتجلب لها الاريحية والانتعاش

ولو أنهم أقاموا العدل ونشروا العلم واشتغلوا بتوليد النباتات وتنويعها لرزقوا من ثمارها صنوفا متشابهة متقاربة لولا تخالف طعومها لاشتبه أمرها علي آكليها وقالوا كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً هذا الذى رزقنا من قبل . ذلك لانهم أتوا به متشابهاً . يفقه ذلك جد الفقه من درسوا أحوال النبات وشهدوا ما يفعله العلماء القاطنون فى البلاد الغزير علمها الرفيعة كلتها التى صانها الله من المظالم وغل عنها يد كل ظالم فأسبغ الله عليها نعمته ووفر فيها أسباب الرفه والنعيم والعزة والبهاء

يعد الله المؤمنين اذا أوفوا بعهد الله وميثاقه استمرار هذا النعيم وطول الاستمتاع به وأنهم اذا أخذوا بأسباب العزة والشوكة ولم يقصروا فى تحصيل ما يوفر لهم الراحة والهناء كانوا خليقين أن ينالوا تلك الجنان وأن يُرزقوا فيها أزواجا مطهرة من الفحش والخنا واللغو والبذاءة . نقية من القذى والاذى وقبح الصورة واعوجاج الاخلاق

ومن شاء أن يرى من التاريخ ألسنة ناطقة بصدق ماقلناه فليقرأ كيف كان شأن المسلمين فى الصدر الاول من الاسلام أيام خرج العرب من واد

غير ذى زرع عند بيت الله المحرم داعية الى الله ورسوله مقيمين تكاليف القرآن متبعين نصائحه مكبين على الاعمال الصالحات القويمة فلم يدعوا علما الا درسوه ولا سلاحا الا استكملوه ولا فنا الا زاولوه ولا صناعة الا أجادوها . ولا حرفة الا أتقنوها . ولا تجارة الا وسعوها . ولا أسواقا الا اقاموها . ولا بلدة الا دخلوها . ولا طريقا الا سلكوها . بذلك ذلل الله لهم الصعاب واستخلفهم فى الارض فكانوا سادة الممالك وأمراءها . وأئمة الهداية ونقباءها وناشرى الحضارة وزعماءها . ومحصلى العلوم وعلماءها .

عاشوا فى عزة وشمم وإباء فقلّت مطامع أعدائهم في بلادهم وأموالهم وبهذا ظلوا فى مأمن من الغوائل والغارات واستطاعوا أن يتفرغوا لنشر العلوم والمعارف والتفنن فى الاختراع والابتداع والاستكثار من تنويع النباتات والحيوانات واستخراج المتشابهات منها وغير المتشابهات . ومن شاء أن يرى مثالا لذلك فليذهب الى الامم التى ملكت ناصية العلوم وبسطت سلطانها على الشعوب الكثيرة واعتدت وسائل الدفاع عن بيضتها والحماية لجلالها وعظمتها وأقامت سائر الاعمال الصالحات النافعة من تأليف الشركات وشق الجداول وبناء القناطر واختراع الآلات والادوات والاستزادة من معاهد الدرس ودور التنقيب والبحث وبساتين النبات ومعارض الحيوان . ثم ليعتبر بما جزاهم الله من صنوف النعيم وجميل الازهار ولذيذ الثمار وجارى الانهار والزوجات النقيات المطهرة من الرذائل والاقذار .

وبعد فقد بسطنا لك هنا ما تفهم منه أن أمثال هذه الآية التى نحن بصدد تفسيرها لا ينبغى قصر ما ورد بها من أنواع الجزاء على الدار الآخرة

فقط فانها تشمل كما رأيت ما يعجل الله لعباده العاملين فى الدنيا كما تشمل ما أعد لهم فى الاخرى .

واذا كان الله تعالى قال فى أهل الكتاب (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) فماذا نتوقع أن يفعل الله بالمؤمنين اذا هم أقاموا القرآن الكريم وعملوا الصالحات النافعة من الاعمال فشيدوا دور العلم والصنائع وسنوا من القوانين والنواميس ما يطابق أسرار القرآن وروحه ثم أحسنوا القيامة عليها حتى لا تعبث بها أهواء الجبارين ولا تنقضها أنكاثا أيدى الظالمين . الا أنهم لو أقاموا القرآن والسنة النبوية فى معاشهم وسياستهم ومعادهم لأثابهم الله بما عملوا جنات تجرى من تحتها الانهار متشابهة أثمارها نقية أزواجهم فيها .

قصر المفسرون الجنات على ما اعتد الله للمؤمنين في الآخرة فظن الجاهلون من المسلمين أنه لا تعجيل فى الدنيا لمثوبات أعمالهم ومساعيهم فانصرفت نفوسهم عن توقع حصول شئ من ذلك في هذه الدار . ولما كانت أمور الآخرة غيبية محضة ولا سبيل لمعرفتها الا طريق السمع كان جهل أكثرهم بها وارتيابهم فى تعرف حقائقها وكنهها مدعاة الى عدم الاهتمام بالاعمال الصالحة الموصلة اليها فان النفوس البشرية فى نيل العاجلة أرغب والي تحصيل متاع الدنيا وزخرفها أميل . وكثير من مؤمني هذا العصر من قد ملأ الشك فى شؤون الآخرة نفوسهم وأعمى بصائرهم فتراهم لا يكادون يوقنون بشئ منها مع زعمهم أنهم بكتاب الله مؤمنون ولرسوله الأمين مصدقون ولو أنهم علموا أن الله يرجي بعض جزائه لعباده العاملين . وأنه قد يعجل شيئا منها فى الدنيا لتولد فى نفوسهم الانتعاش وحب العمل على ان المتتبع لما تجرى به

الاقدار فى الدنيا يرى رأى العين أن كثيراً من أفعال العباد يعجل الله لهم جزاءها فيعاقبهم أو يثيبهم عليها فى هذه الحياة الدنيا . من هنا كان حقاً على من يتناولون كتاب الله بالتفسير أن يفهموا العالم أن لله فى هذه الدنيا من جنات النعيم والعذاب الاليم ما لو تدبروه فكر فيه الناس قليلا لاندفع المصلحون الى العمل الصالح ولفر المجرمون من الكبائر والقبائح . ولو أن مفسرى القرآن الكريم قديماً وحديثاً تدبروا شؤون العالم الاسلامى وتركوا كتاب الله يفهم منه ما تؤديه عبارته لما تحجرت العقول وقست القلوب ولكنا على قدم الصدر الاول فى اعماله وأخلاقه ومقاصده ويقظته ولسلمنا من هذا الضعف الذى تمكن من نفوسنا فأصبحنا مضغة للآكلين ومثلا فى العالمين .

يقرأ المسلمون قوله تعالى (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادىَ الصالحون) فيقولون ان هذا خطاب لقوم داود عليه السلام . واذا تلى عليهم قوله تعالى (من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين) قالوا ان المعنى بذلك أحبار اليهود أو قساوسة النصارى . ولكن المتدبرين لحكمة الله وسننه فى خلقه يوقنون أن الله لا يورث هذه الارض الا الصالحين لعمارتها وهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمسارعون فى الخيرات ومن شاء أن يرى من آيات الله الظاهرة وأدلته الناطقة بصدق ما قلنا فعليه أن يجول بفكره جولة سريعة كي تتمثل له الامم النابتة القاهرة اليوم . وكيف أورثها الله أرضه ومكنها من التصرف فى الكائنات الجوية والسماوية وكيف أظهرها مع جمودها وألحادها على الذين يزعمون أنهم مسلمون على كثرة عديدهم وقدم وجودهم

التعازير الشرعية والتعازير الوضعية

﴿ لو اتبع المسلمون أحكام دينهم لاستقام أمرهم ﴾

يتوهم الناس فى الديار المصرية وكثير من بلاد الشرق أن الامم الاوربية ما سعدت وعظم شأنها وقوى سلطانها الا بما وضعته لنفسها من القوانين وما رسمته من ضروب النظام الداخلى فى سبيل سياسة رعاياها وعامة أفرادها . ولقد كبر هذا الوهم فى نفوسهم حتى جعلوا يتخيلون أن الشريعة الاسلامية ونواميسها وأحكامها الفرعية التى طالما رفعت منار الآخذين بها من الامم السالفة لا تصلح اليوم لسياسة الامم الاسلامية ولا تناسب روح النظامات المدنية الحاضرة

جهلوا تاريخ آبائهم الاولين كما جهلوا روح الشريعة الاسلامية وأسرارها فساءت ظنونهم وخبثت ميولهم وشهواتهم وكانوا لاعداء دينهم أعواناً عليه . وكيف نعجب من مصير هؤلاء أو نستغرب ما تقترفه أيديهم وتكسبه قلوبهم من محاربة تعاليم ذلك الدين الحنيف وقد نشأوا فى حجور غير المسلمات ثم تلمذوا لغير المسلمين ثم لا تكاد تجد لهم صديقاً مؤمناً ولا رفيقاً موحداً

لا يكاد يبلغ علمهم بالقرآن الكريم وسنة الرسول الصحيحة وسيرته السياسية والاخلاقية عشر معشار علمهم بالقانون الرومانى ومناقب فولتير وجان جاك روسو وأشباههم بل ان من المسلمين اليوم من لا يعلم عن القرآن والاسلام الا بعض ما يقرأه فى الكتب الفرنجية

ولطالما سمعنا بعضهم يروى بعض عبارات زاعماً أنها من كتاب الله تعالى وهي ليست منه فى شئ وانما رآها لبعض كتاب الفرنجة فرواها عنهم

كما يرويها الجاهل الغبي أو الذى لم يعرف من قواعد الاسلام وتعاليمه شيئاً

ولقد تفشت روح الالحاد فى بعض شبان المسلمين اليوم لاسيما النازحين منهم الى أوربا . ولهذا البلاء الذى نزل بالاسلام أسباب عدة

(أحدها) أن كثيراً من آباء أهل هذا الجيل شديدو التساهل فى أمور دينهم فهم لا يقيمون صلاة ولا يؤدون زكاة ولا يحجون لله بيتاً ولا يشهدون الجمعات والجماعات ولا يذكرون الله الا فى مرض أو حاجة .

على أن كثيراً منهم لا يستهجن أن يشرب الخمر أمام أولاده بل لا يبالى أن يقدم لأحدهم الكأس ملزما اياه أن يشربها ولو على كره لها وغضاضة. ومن المعلوم أن تساهل الناس فى التكاليف الشرعية وعدم الاستمساك بأسباب الذكرى التى هى روح العبادات وسرها أساس عدم الاستقامة . ولطالما شوهد هذا الاثر السيء فى كل قوم تفشى بينهم التكاسل عن العبادات واستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله . ولذلك جاء فى الآية الكريمة عقب هذه العبارة وصفهم بأنهم حزب الشيطان الخاسرون

(ثانيها) أن تتربى أحداث المسلمين فى أحضان المربيات من الفرنجيات اللاتى هن إما متعصبات لدينهن واما لا خلاق لهن من الدين أو الاخلاق الفاضلة وكثير ما هن

يوضع الطفل فى أيديهن فيغذينه بلبانهن ممزوجاً بما فطرن عليه من الاخلاق القبيحة والهنات الشائنة والعقائد الزائغة فتنشأ الاطفال مفطورين على ما فطرت عليه مرضعاتهم ومربياتهم حتى اذا كبروا وشبوا لم يكونوا بالمسلمين الحقيقيين ولا بالكفار الظاهرين بيد أنهم يحسبون فى جملة المجموعة الاسلامية وانهم فى الحقيقة الأذناب

من كل أمة وواغلون فى كل دين وملة مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء

(ثالثها) التربية الاولية فى الكتاتيب أو المدارس الابتدائية فانها قلما اشتملت برامجها على ما يصلح نفوس الناشئين ويثبت أقدامهم وقلوبهم على الحق وينير بصائرهم حتى تدرك أسرار الدين وتشرب حبه والاعتصام بحباله

أما المدارس العالية فلا أثر للدين فيها لا علما ولا عملا

(رابعها) جمود علماء الاسلام على الابحاث القديمة البالية واسرافهم فى رواية الخرافات الدينية التى مرجعها فى الاغلب الى الاسرائيليات التى ابتدعها أحبار اليهود الأقدمين وملؤا بها خزائنهم ثم أورثوها من بعدهم جهلة المسلمين من أهل الصدر الاول ثم تدلت الى أولئك الذين تصدوا للتفسير وهم لا يفرقون بين التمرة والجمرة ولا يميزون الحلوة من المرة ثم تناقلها الشيوخ المنتسبون الى العلم والعلم منهم برىء . أولئك الذين ليتهم اكتفوا بتحميل عقولهم هذياناتها وباطلها . بل نراهم كلما ضمهم مجلس أخذوا يفسدون على الناس عقائدهم وينفرون بذلك عقولهم من أصل الدين بسبب التعاليم السقيمة التى ألصقوها زوراً بالاسلام والمسلمين

(خامسها) منع الناس من جواز التفكر فى كتاب الله الكريم والزامهم بما وضعه علماء التأويل بل علماء التحريف والتبديل حتى باعدوا بين العقول السليمة وبين كتاب الله الكريم وقانونه القويم وصراطه المستقيم

تختلج الشكوك بعض الصدور حتى اذا جاء صاحبها أحد الادعياء وكشف له عنها صرخ به — ياهذا انك كافر — اخرج من هنا أيها الزنديق — ليس بعد الكفر ذنب — وهكذا من ألفاظ السب والفحش التى يجب أن يتحاشاها دعاة الخير وهداة الامم

ولو أنهم أشربت قلوبهم حب الاقتداء بالرسول عليه السلام فى جدله ومناقشاته لما أخذوا الناس الا بالعلم الصحيح والقضايا المسلمة ولكن من لهم بذلك وهم أنفسهم لم يتزودوا منها بالقدر الكافى ؟

لقد طالما جادلنا تلك الطائفة وسبرنا غورها فوجدنا أقلها علما أكثرها سفاها. وأكثرها عبثاً وفهاهة أشدها لغطا. وابطأها فى عمل الخير أحبها فى صدور المجالس ومرافقة الكبراء والامراء

ولما كان هؤلاء النفر على ما وصفنا للقارئ كان انتشارهم فى الارض ومجاورتهم لعباد الله لا سيما النابتة الصغيرة منهم أضر شئ بالاسلام وأقبح مثال للمسلمين . ولذلك كان اثم الملحدين والمتحيرين الضالين على أولئك الذين جهلوا السنة وحفظوا البدع وأفسدوا على الامم الاسلامية أمر عقائدها ونفروها من تعاليم دينها

تلك هى الاسباب التى حملت كثيراً من المسلمين فى هذا الجيل على الاستهانة بأمر دينهم والرجوع فى فصل الخصومات الى الاحكام الوضعية البشرية زاعمين أنها هى الحق المعقول والقول المقبول

ومن هنا ضل الناس فقاسوا أفعال العباد بمعيار القوانين التى وضعها الواضعون وهم خاضعون لانفعالات سائرة فى صدورهم طامحون الى مآرب مخصوصة حتى اختل ميزان العدل وضاعت حقوق كثير من العباد

واذا شئنا أن نضرب من الامثال ما يستبين به الفرق بين قيمتى الشرائع الالهيه والشرائع البشرية. فلدينا شئ كثير ولكنا نجتزئ الآن بذكر الزواجر التى تدخل تحت باب التعازير . ذلك أن الشريعة قد وكلت تقدير التعازير الى الحاكم فلم تقدرها تقديراً ولم تحدها حداً لانها تختلف باختلاف الاشخاص

والاحوال فلا يستتبع اتحاد الافعال فى النوع أو الجنس توحيد نوع العقوبة التى يراد ايقاعها على مرتكبيها بل ينبغى أن يراعى فى تقدير العقوبة حالة الشخص المعاقب بها باعتبار جسمه ومنزلته فى أمته على شريطة مراقبة الغرض الذى قصدت له العقوبة وهو الزجر والردع . وعلى هذا تتنوع العقوبات والتعازير باختلاف مرتكبيها وان كانت الآثام التى وقعت واحدة فى النوع أو الجنس

مثال ذلك رجلان اعتديا على ثالث بالسب والاهانة مثلا وكان أحدهما من خشاش الناس والآخر من علية القوم . فاذا ما رفع المعتدى عليه أمره الى القاضى الشرعى كان على هذا أن يغاير بين عقوبة ذلك النكس الوبش وبين عقوبة الآخر الذى هو أرفع منه منزلة وأعرض جاهاً . وبما أن تقدير التعازير موكول الى رأى القاضى الحاكم فلقد يفرض فى هذه الحالة للأول الحبس أو التشهير بينما هو يكتفى فى الحالة الثانية بمجرد التأنيب اليسير . ولقد يكون تأثير هذه العقوبة اليسيرة فى النفس الشريفة أبلغ من تأثير الجلد فى حالة ذلك الوضيع الساقط . فالتسوية شرعا لا تعتبر فى أعيان العقوبات وانما تراعى فى مقدار آثارها فى أنفس المعاقبين

ولا يخفى أن من صنوف العقوبات الاعتقال فى السجون . أما تشريع السجن فانه لغرضين أحدهما ردع المرتكبين للآثام والعادين على حقوق سواهم وثانيها احتباس أرباب المآثم والجرائم حتى يسلم الناس فى خارج السجون من شرورهم . فأما الغرض الاول فانه لا يمكن اصابته الا اذا كان المسجون ممن ينفرون من السجون ويكرهون ضيقها والبقاء فيها . فاذا تعودها الشخص بكثرة اختلافه اليها كان من العبث بل من الخطل اعتبارها عقوبة له كلما أصاب

شيئاً من المخالفات أو الجنح أو الجنايات فمن هؤلاء السكارى والحشاشون والمتكففون الذين لا يمر عليهم شهر دون أن يحبسوا المرات العديدة . فان أمثال هؤلاء يعتبرون فى الحقيقة من سكان السجون لا من سكان المنازل ؛ فكيف يعتبر السجن لا مثال هؤلاء من الرواديع والزواجر وكيف يكون من التدبير المستقيم شحن السجون بأمثال هؤلاء فلو أن هؤلاء يراد بهم الصلاح لقدرت عقوبتهم تقديراً يكون كفيلا بردعهم وزجرهم ولو كان هناك شئ من حسن السياسة لما سوى بين هؤلاء الاشرار الاوغاد وبين أشراف القوم وعلمائهم ولما جمع بين هذين الفريقين فى بناء واحد

هذا فيما يتعلق بالغرض الاول المقصود من الحبس وهو الزجر والردع . أما الغرض الثانى وهو كف أذى أولئك الاشرار عن الناس فى الخارج فهو حاصل لا ريب متى احتبس أولئك الاوغاد . ولكن هناك بلاء أشد من أذاهم وأخش من شرهم وذلك أنه قلما حبس فرد واحد دون أن يكون له فى الخارج من يعول من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا

فماذا يصيب هؤلاء المساكين اذا انتزعت السجون من بينهم عمادهم وعائلهم ؟ ومن ذا الذي يراقب الاحداث الصغار من خلقه حتى يشبوا على ما لا يضر من الاخلاق والعادات ؟ ومن ذا الذى يصون أولئك النساء ويحتفظ بهن حتى يفرن كرامة أنفسهن فلا يضطررن الى التماس أقواتهن ببذل عفافهن ؟ ومن عسى ان يجىء أباه الشيخ الفانى بما يبقى رمقه من الفناء ويعالج به أمراض الشيخوخة التى قلما خلا جسمه منها ؟ اللهم لا شئ من ذلك فان عميد أولئك الضعفاء قد انتزع من بينهم انتزاعا ولم تبق لهم المحكمة الا آلام الامراض والاحزان

وصنوف الجوع والشقاء . اذاً فماذا يتوقع أن يفعل أولئك المساكين فى سبيل التماس أسباب الرزق الذى به قوام حياتهم ؟ بديهى أن المضطر يركب الصعب من الامور وهو كاره لها . فلا عجب اذا رأينا الاحداث مبتذلين والنسوة متخذات للاخدان اما فى السر واما فى العلن . اذاً . ماذا ينتظر من بيت تضم جدرانه المختنين من الغلمان والمرتزقات بكرامتهن من النساء ؟ لقد دلت التجارب والتنقيب على أن أكثر الشرور لا تجترحها الا أيدى المرتزقين بالعفاف والكرامة فان هذه الرذيلة هى مجمع القبائح ومصدر سائر الشرور . فبها تكثر الافعال الممقوتة المرذولة كالسرقة والاحتيال والتزوير والسلب والقتل ونحو ذلك مما هو مشاهد فى جميع من استهان بكرامة نفسه وارتزق بعفته ومروءته وأراق بالتفحش ماء وجهه

فاذا فرضنا أن فى السجون جميعها فى مثل القطر المصرى عشرين ألف عائل ممن خلفهم أمثال أولئك الضعفاء فان الحكومة تكون باحتباسها اياهم قد كفت عن رعاياها فى الخارج أذى عشرين ألفاً ولكنها فى الوقت نفسه قد أعدت للجرائم والجنايات والفحش وسائر أنواع الشر والاذى عشرين ألف بيت لا تحتوى فى الغالب أقل من ستين ألف نسمة شرها مضاعف وأذاها كبير . وهكذا كلما احتبس فى السجن عماد بيت فى سبيل وقاية الناس أذاه خلفه فى قومه عدة ممن هم عالة عليه . شرهم أكثر من شره وضرهم أبلغ من ضره

يفهم الانسان أن الشخص ربما احتبس جسمه فلا يباح له أن يخرج الى حيث يستطيع الاضرار بالناس ولكن لا يكاد أحد يفهم كيف تستبيح الحكومات استخدام المسجونين فى صنع صنوف الادوات وأنواع الاثاث ورصف الشوارع واقامة الصروح وحرث الارض وتعهد الزرع بما يصلحه

ماذا يراد بالازهر

(١)

يعلم القراء ما جرى للأزهر فى عهده الاخير من الاختلال وفساد الاحوال كما يذكرون هبوب طلابه للمطالبة باصلاحه والجهر بمقت تلك الفوضى التى أضاعت كرامة الازهر ونقصت من قيمة أهله وأفضت بكثير منهم الى الجهل والخمول

نشر الازهريون منذ عامين مطاليبهم فى الصحف وقدموها الى دوائر الاختصاص ولقد أضربوا عن الدراسة حتى تجاب تلك المطالب فألفت اللجان للبحث فيها متعاقبة ولكنها على شدة ما بحثت ونقبت وعلى كثرة ما وضعت من المشروعات والمقترحات لم تأت فى سبيل اصلاح الازهر بعمل نافع ولا برأى سديد . وما زال الامر كذلك حتى كان عهد عطوفة سعيد باشا برياسة النظار اذ أخذ على نفسه العهد أن يمن فى النظر فى شكايات الطلبة الازهريين وأن يرجع الى الازهر رونقه وبهاءه القديم . هنالك استبشرنا بطالعه وظننا أن الازهر سينال فى عهده من النظام والادارة ما يجعله فى مصاف الجامعات الكبرى فى العوالم المتحضرة وتوقعنا أن سيكون فيه من المعارف ما يشفى الامم الاسلامية من أمراض الجهالة ويبل ظمأ أولئك الملايين المتعطشين للعرفان ونور العلوم ولكن ماذا جرى بعد تلك النظرة الطويلة التى استغرقت عدة شهور ؟

ألفت لجنة من رجال الحكومة ومفكريها ثم طفقوا ينقبون ويقررون

الى نحو ذلك مما يعود على الحكومة بالمال الغزير دون أن تعطى أولئك العاملين أجورهم لينفقوا منها على من خلفهم من الاحداث والنساء والضعفاء من الآباء والاقرباء فان من المقرر ان عمل العامل رأس ماله فهو الذى يملكه دون سواه فاذا حبست الحكومة صانعاً لم يكن لها أن تملك عمله الذى هو رأس ماله كما أنه ليس لها أن تتصرف فيما يملك من عقار وأثاث وحيوان . فان هذا من المصادرات التى لا يجيزها العقل السليم ولا الشرع الحنيف

ومن هنا لا يكاد يجد الانسان ما يسوغ للحكومات أن تعامل مسجونيها بذلك النظام فتصادرهم فى رؤوس أموالهم بتلك السياسة التى لا تنطبق على القواعد الاجتماعية المعقولة . ولو أن الحكومات الاسلامية تبنى أمثال تلك المعاملات على قواعد الشرع الشريف لما جرت على بلادها ونفسها من المفاسد أكثر مما وقتها . ولما عرضت الضعفاء للحاجة الفتاكة وحجاب العفاف للتمزق وأخلاق الناشئين للفساد . ولاستطاعت أن تدخر للصانع المسجون من كسب يده ما عسى أن يجده يوم ينتهى زمن سجنه فيلتمس بواسطته عيشة طيبة تصون يده عن الحرام ونفسه عن تيبيت الشر وايصال الاذى الى الغير

وخلاصة القول أن كل نظام يقتضى مصادرة المسجون فى رأس ماله الذى هو عمله وترك من كان يعولهم عرضة لفتكات الجوع وسورة الآلام والامراض ليس من الحكمة فى شئ وانما هو كمن يرقع خرقا ويمزق خروقا ويكف شرا ويخلق بذلك شروراً . فعلى من يريد الاصلاح حقيقة أن يحفظ للمسجون ثمرة عمله ونتيجة كسب يده اذا لم يكن له من عالة فى الخارج فان كان خلفه نفر ممن يعول أنفق عليهم منها حتى تصان أعراضهم ولا تفسد بالحاجة والفقر أخلاقهم وهنالك يكفى الناس شرهم فلا يعود على أحد شئ من أذاهم

ويضعون وينسخون حتى انتهوا الى خلاصة فصاحة ابحاثهم فدونوها فى تلك الكراسة التى سموها (مشروع قانون الجامعة الازهرية) يتصفح الباحث تلك الكراسة حتى يأتى على آخرها فيعجبه ما جاء فيها من العناوين والالقاب والمواد والابواب ولكن نظرة منه الى ما انطوى تحتها تمكنه من الحكم بان وجود هذا المشروع ليس خيراً من عدمه وان الازهر اذا سار على مقتضاه فانه سيكون كما كان ميدانا لا يجوز فيه قصب السبق الا أشد الشيوخ ملقا وأكثرهم عكوفا على أبواب القصور وحرصا على الرواتب وكساوى التشريف

لهذا حق علينا أن نتناول هذا المشروع بدقيق البحث مظهرين ما فيه من المثالب ومواضع الضعف وان كنا على يقين من أن مجلس النظار سيقرره كما هو دون تغيير ولا تبديل

بيد أن رجاءنا أن يلتفت رجال الشورى الى ما سنسرده من أوجه النقد حتى لا يجازفوا فيقروه الا بعد أن يدخل فيه من التعديلات ما يجعله كفيلا باصلاح الازهر وتوابعه التى تضم بين جدرانها عشرات الالوف من الطلاب فنقول

(١) يحتوى مشروع الجامعة الازهرية على فصل فى الادارة العامة وخلاصته أن يكون للجامعة الازهرية مجلسان أحدهما يسمى مجلس الازهر الاعلى وثانيها يدعى بمجلس الادارة رئيسهما شيخ الازهر وهناك تفصيلات لا يهم الناقد أمرها فلنقتصر هنا على ما عن لنا فيها من الملاحظات

يعلم الناس قاطبة أن أول مطالب الازهريين يوم هبوا للمطالبة باصلاح شؤونهم كان تخويلهم حق انتخاب أعضاء مجلس الادارة والمجلس الاعلى وشيخ الازهر لنفسه وقد رماهم بعض الناس اذ ذاك بشئ من الافراط والغلو فى مطلبهم ولكن الحقيقة ان الازهريين قد علمتهم تجارب السنين العديدة أن ارسال العنان للافراد فى تدبير أزهرهم قد اسفر عن نظامات سقيمة ونتائج وخيمة

ظل الازهر السنين الكثيرة تتعاقب عليه الشيوخ فما كانوا يسيرون في تدبيره وسياسته الا طبقاً لأهواء نفر لا يمكن الاعتماد عليهم ولا يجوز الاخذ بأقوالهم فى نظام أمثال هذا المعهد واصلاحها

ظل الازهر السنين العديدة خاويا خالياً من العلوم النافعة العصرية التى سبقتنا الامم الاخرى بدراستها واستقصاء مسائلها حتى أصبح الازهر وهو فى القرن العشرين معرضا يمثل لزائريه كيف يكون الخمول والجمود وان طلابه وعلماءه كأنما هم فى معزل عن العوالم الحاضرة لا يعرفون من أمرهم الا القليل ولا يحسون بما أصاب غيرهم من التغير والرقي المادى والمعنوى

ظل الازهر السنين العديدة محروما من النظام فى دروسه وادارته جامداً على تداول كتب أبلاها الزمان حتى أصبحت غير صالحة لرجال هذا الجيل وزاد الطين بلة ما أضيف اليها من الحواشى وحواشى الحواشى التى تستنفد أعمار الطلاب وقلما حصلوا منها على شئ ذى بال

كذلك عاش الازهر السنين الطوال وكذلك كان أهله فلما أذن الله لهم بالاستيقاظ من ذلك السبات العميق كان حقا على واضعى المشروع من رجال الحكومة أن يأخذوا بأيديهم وأن يضعوا لهم من النظام ما يضمن لهم مجاراة غيرهم طلاب العلم فى المعاهد الاخرى

كان حقاً على واضعى المشروع أن يجعلوا انتخاب تلك المجالس الادارية

فى أيدى الازهريين لا لان القصد محاربة زيد أو الخروج عن طاعة عمرو ولكن الازهريين يعلمون دون سواهم مقادير رجالهم ومبلغ قدرتهم على العمل كما يعرفون دون سواهم قيمتهم العلمية وزنة عقولهم فى الامور الادارية.

يعلم الناس مقدار ضعف قلوب كثير من شيوخ الازهر وفرط استسلامهم لاشارة من كبير أو فرد قدير كذلك دلت التجارب والمشاهدات فى غابر السنين وكذلك شاهدنا منهم أفراداً حينما هموا بالاستمساك بحقوقهم وأرادوا النهوض بالازهر نهوضاً حقيقياً غضب عليهم فأخرجوا من دار المشيخة الى منازلهم فالتزموها وحرم الدرس الدينى ومعاهده من اصلاحاتهم وسديد آرائهم.

جرى جميع ذلك وواضعو هذا المشروع احياء يرزقون ورجال يفقهون اذا ألم يكن حقا عليهم أن يضعوا من القيود والشرائط وضروب النظام ما يحول بين الازهر وبين اطلاق العنان فيه لفرد بعد ان أرتهم الحوادث مغبة هذا المعهد فى السنين الماضية وبعد أن رأوا بأعينهم طلابا ينشدون الاصلاح فيهانون ويستزيدون من العلوم والمعارف فيحرمون ويعلنون أمرهم للرأى العام فيقال انهم أغرار مفتونون ومجرمون خارجون

ارجعوا الى أنفسكم أيها الواضعون لهذا المشروع فسلوها بعد استحلافها بمن تعتقدون ما معنى المادة ٢٢ من ذلك المشروع التى نصها:

« وانتخاب وتعيين شيخ الجامع الازهر منوطان بنا وبأمرنا وتعيين مشايخ المذاهب بالازهر ومشايخ المعاهد الاخرى والوكلاء وأعضاء مجالس الادارة العلماء يكون بارادة سنية بناء على طلب شيخ الجامع الازهر بصفته رئيس مجلس الازهر الاعلى

ومدة العضوية فى مجالس الادارة سنتان ويجوز اعادة تعيين الاعضاء أنفسهم »

كأنى بكم حينما وضعتم هذه المادة قد تخيلتم ان الازهريين يطمحون الى الخروج على أميرهم والى الاستبداد بتدبير شؤون أنفسهم حتى أتيتم بما نص تعيين شيخ الجامع ومجالس الادارة على مجرد محض ارادة سمو الامير

ولو أنكم أنصفتم سمو الامير وأهل الازهر جميعاً لأدركتم ان الامراء فى أممهم كالتيجان على الرءوس فهم حلية الامم وزينتها وما مكانهم منها الا مكان الرءوس المدبرة والاعضاء العاملة.

حاشا أن نكون ممن يسىء الظن بأمير هذا البلد ومقاصده الخيرية لهذا المعهد ولكننا نقول أن ليس لسموه من الوقت ما يكفى للنظر فى مصالحه فكيف اذا يستطيع أن يدبر هذا المعهد وهو لا يعلم منه الا ما يجيئه من طريق فرد أو أفراد لا هم لهم سوى ميول وشهوات لا تنطبق على المصلحة العامة ولا تؤدى الى شئ من الاصلاح المنشود. اذا كان على واضعى المشروع أن يفقهوا هذا المعنى وألا يثقلوا كاهل الامير بما يجهله من التكاليف فحسبه ما هو فيه مما لا يكاد يسعه وقته. ولو أنهم فعلوا ذلك لساعدوا ذلك الامير النظامى ولخففوا عنه مشاق النظر فى الامور الصغيرة الجزئية ولحالوا بين الازهر وبين عبث من يولونه من الافراد الذين سيكونون هم الوسطاء بين الامير وبين طائفة من أمته تريد الاصلاح وتجاهد فى سبيل العلم والنور

يقرأ الانسان تلك المادة (٢٢) حتى اذا أتى على آخرها كاد يتجلى له ما يفضى اليه هذا المشروع من روح الاستبداد وترويض النفوس على الذلة والمسكنة والخنوع. ذلك أنها فضلا عما مر عادت بجعلت لشيخ الجامع وحده دون سواه حق انتخاب مشايخ المذاهب ومشايخ المعاهد الاخرى والوكلاء

وأعضاء مجالس الادارة فمن هو ذلك الشيخ الذى يعطى وهو من بنى الانسان هذا النفوذ والسيطرة ثم يتوقع منه أن يكون قديسا يقيم موازين العدل ويراقب الله تعالى فى حقوق من جعل أمرجم بيده . ان طبيعة البشر ونزوعهم الفطري الى الاثرة والاستبداد وحب المصلحة الذاتية والعجز عن استفراغ الوقت فى نظر شؤون الغير كل ذلك يمنع كل المنع تخويل فرد مهما كان علمه وعقله امثال ذلك السلطان المطلق ولا يبيح وضع عدة آلاف من طلاب العلم ورواد العرفان تحت رحمة رجل لا يرى من محاسب له سوى الامير الذي لا طريق له الى علم أحوالهم وشؤونهم سوى ذلك الشيخ

وليت الامر وقف بواضعى المشروع عند هذا فلقد أرادوا أن تكون مدة العضوية فى مجالس الادارة سنتين فقط ويجوز اعادة تعيين الاعضاء أنفسهم . ومعنى هذا كما هو ظاهر أن العضو الذى انتخب بمحض ارادة فرد واحد يمكن ان يعاد انتخابه ثانية . وكيف يعيد شيخ الازهر انتخابه اذا لم يكن طوع أمره ونهيه . أم كيف يبقيه فى جملة أعوانه اذا وجده يوما ما محتفظا بحقوقه غيوراً على مصالح أمته عليما بطرق الاصلاح مستمسكا باحقاق الحق وابطال الباطل شديد التجافى عند أصحاب الاهواء ذوى المآرب الذاتيه

ان هذه الفقرة لتجعل عضو الادارة أطوع لشيخ الازهر من بنانه والزم له من ظله وسريعا الى الصدع بأمره وحريصاً على نيل رضاه وحبه . وكيف يجتمع شئ من هذا والمصلحة العامة

ومعاذ الله أن نريد فى كلامنا هذا التعريض بشخص معين فان هذا ما لا نعينه وانما الذي نريده أن توضع القوانين بحيث تكون صالحة لكل زمان وجيل فاذا نحن وثقنا من مثل أستاذنا الاكبر شيخ الجامع الازهر اليوم فما وضعت القوانين معقودة بالافراد فان البقاء والدوام لله وحده ومايدرينا أن يعتزل الاستاذ مشيخة الازهر فيخلفه فيها من ليس على قدمه ولا حاز شيئاً من شيمه وكثير ماهم

وبالاختصار فان اشتمال المشروع علي تلك المادة قد هدم كل أمل فى اصلاح الازهر والانتقال به الى الدرجة التى تناسب روح العصر رقيا ونظاما فليحذر رجال الشورى ان يقروها اذا جازف مجلس النظار فاعتمدها على علاتها

تقدم لنا القول بان نظام ادارة الجامعة الازهرية علي النحو الذي تضمنه المشروع الجديد لا يكاد يرمي الا الى غاية واحدة هى الزلفى لسمو الامير مع أنه حفظه الله صرح للعالم جهاراً بانه انما يريد اصلاح الازهر وجعله فى مقدمة المدارس العظمى فكان يجب على واضعى هذا المشروع ان ينهضوا بهذا المعهد الدينى الذي هو مثابة لجميع العالم الاسلامي من أطراف الارض

جعل المشروع أمر تعيين شيخ الازهر لسمو الامير دون انتخاب ولا اقتراع . ولقد يجوز أن يكون ذلك لو كان تشكيل مجلس الادارة ومجلس اق زهر الاعلى وتعيين شيوخ المعاهد الفرعية ووكلائها وموظفيها مطابقين لنظام معقول مقبول يضمن لنا سير الادارة والتدبير سيراً يقارن ميزان العدل بين الطلاب والعلماء . وكيف يكون شئ من هذا وقد جعل الامر كله فى يد فرد واحد لا يرقب رقيبا ولا يخشى حسيباً وهو شيخ الجامع

ولقد تتجلى المرامي الخفية لواضعى هذا المشروع فى عدة مقترحات منها أن تأليف المجلس الاعلى للازهر يكون محصوراً بين سمو الامير ورئيس النظار فلقد ورد فى الماده التاسعة ما نصه :

« يؤلف مجلس الازهر الاعلى من شيخ الجامع الازهر بصفة رئيس

ومن ثمانية أعضاء هم مفتى الديار المصرية . شيخ السادة المالكية . شيخ السادة الشافعية . شيخ السادة الحنابلة . مدير عموم الاوقاف المصرية . ثلاثة ممن يكونو فى وجودهم بالمجلس فائدة لترقية التعليم وحسن انتظام ادارته بشرط أن يكونوا من الحائزين للصفات الملائمة لحالة الجامعة الازهرية ويكون تعيينهم بارادة سنية بناء على طلب رئيس مجلس النظار

وفى غياب شيخ الجامع الازهر ينوب عنه فى الرياسة مفتى الديار المصرية

ومنها أيضاً تجويز أن ينعقد مجلس الازهر الاعلى تحت رياسة سمو الامير كما جاء فى الفقرة الثالثة من المادة الحادية عشرة ولو أن واضعى هذا المشروع أرادوا الخير للأزهر لاتبعوا القواعد المتبعة فى البلاد الراقية وتدبير جامعاتها الكلية . ففى أى جامعة من جامعات أوربا يرأس الملك أو الامير أو الامبراطور المجالس الادارية أو المجالس العلمية رياسة فعلية ؟

وهذه مصر التى يحكمها سمو الامير ينعقد فيها مجلس المعارف الاعلى واللجنة العلمية الادارية المرة بعد المرة والكرة بعد الكرة دون أن تكون تحت رياسة الامير وليس فى نظام نظارة معارفها ما يجيز ذلك ؟ وهل فى هذا غضاضة لسمو الامير وهو رأس الحكومة جميعها ؟ وماذا يضيره أن يكون رعاياه قائمين بمساعدته فى تدبير سياسة بلاده دون أن يرأس مجالسها ولجان ادارتها رياسة فعلية ؟

وهل نسي واضعوا ذلك المشروع ما طلبته بعض الصحف المحلية غير مرة من ضرورة ترك الامير لرياسة مجلس النظار حتى يمكن لأعضائه أن يتناولوا المسائل السياسية بحرية تامة والا يجدوا أمامهم من جلالة الامير وماهيته قد يحول بينهم وبين الصراحة التامة فى مباحثاتهم ؟

واذا كان نظار الحكومة وبيدهم دواوين الحكومة جميعها وفى قبضتهم أزمتها ومقاليدها قد يؤثر فيهم وجود الامير على رأسهم فيمنعهم من التمتع بحرية الفكر وصراحة القول الاستحياء منه والتهيب من جلال مقامه فكيف يكون شأن مجلس الازهر الاعلى اذا وجد سموه بينهم ؟

كلنا يعرف مبلغ استسلام هذه الطائفة وخنوعها خصوصا الكبار منها. وكلنا يعلم مقدار تهيبهم المناقشة والمجادلة أمام أى موظف كبير فضلا عن سمو الامير . ولو لا نفر قليل بينهم عصمه الله من ذلك الضعف وأيده بروح الحق لما استقام شأن الازهر أصلا فى يوم من الايام ولا حصل منه أحد على فائدة علمية أو منفعة أدبية

المشروع الازهري

ومدرسة القضاء الشرعى

يظهر أن تأسيس مدرسة القضاء على النحو الذى نعرفه ولا ننساه جعلها هدفا لسهام لا ينقطع تصويبها اليها ولا تضيع فرصة يقدمها الزمن فى سبيل البطش بها وتقويض أركانها . ولقد تربص بها بعض الناس الدوائر زمنا ليس بالقليل ولعلهم خيل اليهم أن يوم تقويضها قد حم فمهدوا السبيل للقضاء عليها

يذكر القراء أننا كتبنا منذ أشهر فى المسئلة الازهرية وجاهرنا بوجوب الحاق مدرستى القضاء الشرعى ومدرسة دار العلوم بالازهر لان

هذا المعهد يجب أن يكون مصير التربية والتعليم الى رجاله وأن يكون طلابه غير مقصورين على تعلم ما يسمونه بالعلوم الدينية . بل هو المعهد الذي يجب أن يضم بين جدرانه جميع العلوم الشرعية وغير الشرعية حتى يكون كلية جامعة بالمعنى الاعم الشامل

قلنا سابقاً أن مجالس المديريات قد أخذت تقيم المدارس فى أطراف القطر المصري . ونقول اليوم أن تلك المجالس تملأ القضاء باعلاناتها طالبة مدرسا أو مدرسة أو ناظراً أو ناظرة فلا تكاد تجد طلبتها على قلة مدارسها فى الوقت الحاضر فاذا لم ينظم الازهر تنظيما معقولا واذا لم يزد على المواد المقرر اقراؤها فيه علوم التربية والعلوم الآلية فكيف تستطيع تلك المجالس أن تجد العدد الكافى من النظار والمعلمين الذين لا تنهض الامة جميعها الا بهم . وان الاعتماد على مدرسة دار العلوم وحدها غير كاف ولا بالغ بنا تلك الغاية التى يدفعها الى طلبها الحركة العلمية الجديدة فى القطر ؛

لهذا اقترحنا ولا نزال نقترح أن تدخل جميع العلوم العصرية فى الازهر وأن تلحق به مدرسة المعلمين الناصرية وكذلك الشأن في مدرسة القضاء الشرعى فانه لا معني لبقائها منعزلة عن الازهر متي أصلح مع أنها تجب أن أن تكون جزءاً متمما غير منفصلة عنه لا وضعاً ولا ادارة

قلنا ذلك ولا نزال نكرره ولكننا مع هذا لا نجد مجالا للفرار من الاعتراف بان احالة احدى تينك المدرستين المنظمتين المسوستين بالطرق القانونية التى نعلمها على معهد ليس فيه أثر للنظام من أكبر الجنايات على العلم والادب والحكمة وكيف لاحد أن يرتضى أن تحل الفوضى محل النظام أو الاغراض والاهواء محل القوانين والنواميس الدستورية

وماذا عسى أن يقول واضعو ذلك المشروع الازهرى اذا ما سألناهم عن الضمانات التى اقترحوا تقريرها فى مشروعهم الكفيلة ببقاء استقلال مدرسة القضاء الشرعي وما هو الناموس الذى شرعوه ليصان به هذا المعهد العلمى الكبير

وبماذا يؤيدون مشروعهم السقيم وقد أخرجوا هذه المدرسة من أيد كثيرة تعمل مجتمعة على سعادتها ورقيها تحت مراقبة الحكومة ولوائحها الى أيد فردية وسلطة مطلقة رمراقبة معدومة

اللهم اننا نطلب من رجال الشورى أن يحولوا بين هذه المدرسة وبين ما عرضت له من التدمير والتقويض بهذا المشروع الجديد الذى سيجر عليها من البلاء ما لا يجوز للأمة السكوت عليه

انه ليجب عليهم أن يدفعوا عن هذه المدرسة الشقاء المضمر لها والا يجوزوا الحاقها بالازهر الا اذا قام به نظام معقول يضمن للأمة سلامتها من الاخطار والاضرار . فيجب عليهم أن يطلبوا اما تعديل الماده الثالثة على النحو الذى ذكرناه واما الغاؤها جميعها وبقاء المدرسة على ما كانت عليه وذلك نصها :

وتكون مدرسة القضاء الشرعى قسما من الجامعة الازهرية وتبقى حافظة لنظامها المقرر لها فى قانون ٢٥ فبراير سنة ١٩٠٧

ويحل مجلس الازهر الاعلى محل ناظر المعارف العمومية فى جميع الاختصاصات التي لها الآن بمقتضى القانون المشار اليه

وتفصل ميزانية المدرسة عن نظارة المعارف ويخصص لها باب مستقبل فى الميزانية العمومية وتجرى عليهما الاحكام المتعلقة بها

« ويبقى موظفو المدرسة من مستخدمي الحكومة »

تقدم لنا فى الكلام فى أمر ادارة الازهر وتدبير سياسته وأبنا بالدليل القاطع والقول الساطع أن الازهر اذا لم تتبع فى تأليف مجالسه الادارية الطرق النظامية فقد خسر كل شئ ولو أكثر واضعو مشروعه الجديد من زخرف القول وحسن السبك وبديع التبويب والترتيب . فلننتقل بالقراء اليوم الى الباب الثانى من مشروع الجامعة الازهرية

فأما ما يراد من الطلبة أن يتعلموه طبقا للبرنامج الجديد فانى أرى أنه مقدار صالح وأن توزيعه على الاقسام الثلاثة التى يتألف منها طبقات الطلبة حسن مقبول . بيد ان الذى لاحظته أنه ينبغى تقرير دروس التاريخ الطبيعى بدلا من دروس الاشياء التى يرى واضعو المشروع اقراءها طلاب القسم الاول كما جاء فى المادة السابعة والعشرين . ذلك لان فى التاريخ الطبيعى باقسامه الثلاثة تنويراً للبصائر وفتقاً للأذهان وجلاء للعقول لا سيما وقد اعتيد أن يكون اقراء دروس الاشياء فى المدارس النظامية مقصوراً على الاحداث ليدركوا ماحولهم من الكائنات وما تناله أيديهم وسائر جوارحهم من الادوات والعقاقير ودواجن الحيوانات وكذا لتنمو فيهم قوة التنبه والتمعن وعدم الغفلة عن اجزاء وخواص ما يحيط بهم من الوالد

ولا يخفى أن تدريس التاريخ الطبيعى لأولئك اليافعين من تلاميذ القسم الاول كفيل بجميع هذا على أنه مع ذلك أليق بسنهم وأوفى

ولهذا يجعل أن تستعاض دروس الاشياء بدروس فى التاريخ الطبيعى باقسامه تكلم المشروع فى أمر الامتحانات والشهادات

ومما جاء فى ذلك قوله فى الفقرة الثانية من المادة التاسعة عشرة « وكل

طالب لم يتقدم الى الامتحان بغير عذر مقبول يرفت »

ومما هو جدير بالنقد أيضا ماورد فى الفقرة الثانية من المادة (٤٠) ونصها :

« كل طالب لم يتقدم الى الامتحان بغير عذر مقبول يطرد »

لم تبين هذه الفقرة معنى الطرد من الجامعة الازهرية فان أريد محو اسمه منها محوا حتى لا يعود يقبل فى امتحاناتها النهائية أو امتحانات النقل كان هذا غير لائق بنظام الجامعات والكليات

وان شئت شاهدا على ذلك فان الطالب فى بعض كليات أوربا قد ينتسب الى أحداها ويدفع مصروفات الدراسة ويشترط فى صحة انتسابه اليها ان يثبت وجوده بها مرات معدودة فاذا فعل ذلك كان حقاً له أن يشهد امتحاناتها واذا لم يتقدم الى امتحان سنة سواء كان ذلك لعذر أو لغير عذر كان له أن يتقدم له فى السنة التالية أو التى بعدها

ومن شاء فليعتبر ذلك بمدرسة الحقوق الفرنسية فى مصر فان الطالب متى التحق بها ودفع مصروفاتها كان له أن يتقدم الى الامتحان فى باريس فى أى سنة شاء سواء فى ذلك امتحان النقل وامتحان الشهادة النهائية

ولقد يسقط أحد طلاب علم التربية فى كامبردج أو اكسفورد أو نحوها فيباح له شهود الامتحان ثانية وثالثة دون حرج ولا شرط حتى انه ليباح له ذلك ولو غادر بالفعل تلك المعاهد الدراسية اذله ان يعود اليها فى ابان الامتحانات فيجلس فى زمرة طلابها

أما هذا النظام الذى جاءت به المادة (٤٠) من المشروع فانه أشبه بنظام الكتاتيب أو المدارس الابتدائية منه بنظام الجامعات

والذي أراه أن تعدل تلك الفقرة الثانية من المادة أربعين كما يأتي :

(كل طالب لم يتقدم للامتحان بغير عذر مقبول يحرم من مزايا المعهد المنتسب) (هو اليه ولكن يباح له أن يتقدم للامتحانات المقبلة حتي اذا جازها سرت عليه أحكام الناجحين فينقل من فرقه الى أرقى منها أو يعطى الشهادة التى تقدم لنيلها)

وأما اذا كان التخلف عن الامتحان لعذر مقبول اتبع فى معاملة المتخلف ما جاء فى المادة الثانية والاربعين المحوزة للطالب أن يمتحن الامتحانات المنصوص عليها فى تلك المادة والايحرم اذا نجح شيئاً من مزايا المعهد الذى هو به

جاءت المادة (٤٤) بنصه « الامتحانات الاولى والثانوى والعالى تكون تحريرية وشفهية ويكون الامتحان تحريريا فقط فيما عدا ذلك »

وبمذاكرة الفصل الاول فى الامتحانات من هذا المشروع نجد أن الازهرى يمتحن فوق تلك الامتحانات الثلاثة فى انصاف السنين الدراسية وفى آخرها امتحان النقل . اذا يكون معنى هذه المادة أن الطالب يمتحن فى انصاف السنين وفى أواخرها للنقل امتحانا تحريريا فقط

والتأمل فى هذا النظام لا يسعه الا أن يسميه بالنظام المعكوس وذلك أن المقرر لدي علماء التربية أن يقلل فى الامتحانات التى تنال بجوازها الشهادات من الاختبارات الشفهية جهد المستطاع والسر فى ذلك كما هو معلوم الحيلولة بين الطالب وبين ماعسي أن يكون فى نفوس بعض الممتحنين من الحقد على أحدهم وقصد النكاية به فان منهم من ينتهز فرصة وجوده فى لجان الاختبارات الشفوية فينتقم ما يشاء ويسقط من يشاء وكثيرا ما أرتنا التجارب كثيرا

من أمثال هذه الحوادث التى يألم لها الانصاف ويبكى منها محبو العدل

لذلك كان الواجب ان يحال بقدر الاستطاعة بين المتقدمين لامتحانات الشهادات وبين أن يكونوا امام الممتحنين وجها لوجه فيسهل على هؤلاء ايقاع الشر بهم ومحاربة العدل فى زنة درجاتهم . اما امتحانات انصاف السنين وامتحانات النقل من فرقة الى أخرى فلا يبلغ خطر وجود الامتحانات السنوية بهما مبلغه فى امتحانات الشهادات والذى أراه ان تكون جميع الامتحانات باقسامها كلها تحريرية وان يؤخذ متوسط الاختبارات الشفوية اليومية فتقدر به درجة الشفوى فى امتحان انصاف السنين وامتحانات النقل ولا يجوز فيما عدا ذلك امتحان شفوى اللهم الا اذا كان لمجرد الاستئناس وفى سبيل المفاضلة البسيطة بدون ان يترتب عليها اسقاط طالب وحرمانه من الشهادة التى ينشدها متى كان ناجحا فى الاختبارات التحريرية . ويستثنى من هذا بالضرورة مالا بد فيه من الاختبار الشفوى كعلم التربية فانه لا يمكن معرفة الطالب الا بذلك

لعل قائلا يقول أن المادة (٤٧) جعلت امتحان الشهادات تقيمه لجان تؤلف لذلك وان امتحان انصاف السنين (يكون بمعرفة الاساتذة أنفسهم) وان فى هذا النظام ضمانة كافية لصيانة الطلبة من كيد الحاقدين وجور المتعسفين ولو بقي أمرهم فى أيدي أساتذتهم في امتحانات الشهادات لسهل علينا ادراك الخطر الذي قد يقع بهم. قد يقول ذلك قليل التجربة وأما الذين يعرفون أخلاق الامم فيرون أن مجرد الايعاز قد يدفع الممتحنين من غير الاساتذة الى البطش بالطلاب ومن شاء فليسأل طلبة مدرسة الحقوق الخديوية لاسيما من القسم الخارجي عما يصيبهم

ولو أنهم يكتفي باختباراتهم التحريرية فقط لسلموا من البطش بهم وايصال ما لا يحتمل من الاذى اليهم . وبالجملة يمكن القول بان الاختبارات الشفوية فى معاهد غير نظامية ليست الا أشراكا يتصيد بها من لا يرقبون الله الاذكياء الاحرار تلبية لأهوائهم أو امتثالا لأوامر كبرائهم فالواجب اذاً تقرير ما اقترحناه آنفاً ولنا في كثير من كليات أوربا أحسن مثل . أما اذا أردنا تنشئة الازهريين فى الذلة والمسكنة وتمكين أيدى من لا يحبون العدل منهم فليبق هذا المشروع كما هو الآن فانه جدير أن يتخرج به حقراء مداهنون بل عبيد مسخرون .

تناول المشروع الكلام فى قبول غير طلبة الجامعة الازهرية فى الامتحان لنيل احدى الشهادات (راجع المادة ٥٢) فانها تقضي أنه ليس لأحد أن يطلب أي شهادة حتى يكون حائزاً لما قبلها فلا بد أن يكون طالب الشهادة الثانوية حائزاً للاولية ولا يجوز أن يطلب شهادة العالمية الا من كان بيده الشهادة الثانوية .

ولا يخفى أن الازهر مطروق للطالب من جميع أطراف البلاد الاسلامية فقد تأتيه من يستطيع بعد التحصيل القليل ان ينال شهادته الثانوية أو العالمية

وقد يجوز أن يتقدم أحد المتخرجين فى مثل دار العلوم فيطلب الدخول فى امتحان شهادة العالمية . فلم يسد الباب فى أوجه أمثال هؤلاء فيكلفوا بالحصول على الشهادات التى قبلها وفيهم من الاستعداد والمقدرة ما ينيلهم شهادة العالمية من فورهم ؟

والذي نراه أن يباح لكل طالب غير أزهرى التقدم لطلب الشهادة

التى يبتغيها بيد انه يجب ألا يعطى الشهادة حتى يجوز الامتحان فى المواد الدراسية على النحو الآتى :

(١) طالب الشهادة الاولية يمتحن فى مواد الدراسة المقررة لها فى الازهر

(٢) طالب الشهادة الثانوية يجب أن يمتحن فى مقرراتها وكذا فيما تقرر للشهادة الاولية من المواد المقصورة عليها المنقطعة بتمام مدتها

(٣) طالب شهادة العالمية يمتحن فى جميع المود المقرر تدريسها فى السنين جميعها ولو كان بعضها مما ينتهي تحصيله بنيل احدى الشهادتين السابقتين

يطلع الناقد لهذا المشروع على الجدول الذى وضع لبيان النهاية الكبرى والنهاية الصغرى في درجات امتحان العلوم فيجد آية جديدة ساطعة من آيات التحكم ووسيلة قوية من وسائل الاستعباد وذلك أن قد وجد فى جملة المواد التي لا ينجح الطالب حتى يحصل على مقدار محدود من الدرجات فيها ما يسمونه بالسلوك فقد جعل له فى الجدول نهاية صغرى مقدارها أربعون من خمسين. فاذا لم يحصل الطالب على أربعين عد ساقطا فلا ينتقل من فرقة الى أخري ولا ينال شهادة ما كما هو مقتضى المادة ٥٣ من المشروع الجديد

كلام ظاهره حسن مفيد وباطنه أذي مبين ؟

أطلق واضعو المشروع كلمة سلوك اطلاقا فلم يبينوا حدودها ولا شرحوا معناها

ولقد اتخذ هذا الابهام فى نظارة المعارف سلاحا ذا شفرات عديدة ينال بها أصحاب الامر والسلطان من التلاميذ نيلا فظيعاً

يستبد المعلم على التلميذ لامر ما فينحى على درجات سلوكه . وقد يرى

التلميذ مالا يراه ناظر مدرسته فيكون حظه أن تنقص درجاته فى السلوك

ولقد يحتد الاستاذ على التلميذ لا لسوء سلوك التلميذ ولكن لفظاظة خلق المعلم وغفلته فلا يزال به حتى يبلغ باخلاقه عدة درجات تحت الصفر كما شاهدناه باعيننا أيام كنا فى سلك التلمذة بدار العلوم اذ كان أحد الطلاب من رفقائنا وزملائنا لم يستطع أن ينال رضا أستاذه الانجليزى فما كان يمر به يوم دون أن تقطع طائفة من درجات سلوكه ولا يزال ذلك شأنه فى كل ثلاثة أشهر حتى اذا جاء الامتحان المعتاد وجد الطالب نفسه صفرا من درجات السلوك وربما نقص المعلم من درجاته مايحتسبه له فى الامتحانات التالية

وبالجملة فان فى ترك هذه الكلمة عامة مبهمة خطرا على التلاميذ وسلاحا مرهقا فى أيدى من قد لا يراقبون الله ولا يحاسبون أنفسهم فالواجب اذاً أن تفسر هذه اللفظة تفسيرا يزيل لبسها وأن تقصر على مالا يجوز أن يأتيه الطالب من صنوف السلوك التى تخل بالشرف والمروءة . والا كانت شراعلى الازهر لا يحتمله طلابه .

على اننا نرى الغاء اعتبار درجات السلوك شرطا فى منح شهادة العالمية فان الرجل الذى يمكنه سلوكه من البقاء فى الازهر خلال ثماني عشرة سنة ولا يأتى فيها ما يسىء سمعته ويلوث جامعته لا ينبغى ان يقدر له فى امتحانه الاخير شئ من الدرجات للسلوك والاخلاق ولذا لا نكاد نجد فى أي جامعة أو أى كلية مثل هذا الشرط .

اما فى معاهد التربية الصغرى فلا بد من اعتبار درجات للسلوك لان فى ذلك نذيرا للاحداث واليافعين الذين يغلب عليهم عادة الطيش وحكم الهوى والميول الدنيئة فاشتراط حسن السلوك فى جواز بقائهم بمدارسهم أو نيلهم

الدرجات الاولية أو انتقالهم من فرقة الى أخرى يدعوهم الى التجافى عن معاهد الفساد ومزل الاقدام ولهذا يعتبره علماء التربية من جملة التهذيب واصلاح الناشئين . اما اذا استمر الطالب بالمدرسة حتى قارب زمن الامتحان الاخير الذى به يحصل على الشهادة العالمية فان ذلك دليل على ان خلقه لم يكن فى القبح بحيث يجعله لا يستحق ان ينال تلك الشهادة ومن العجيب ان يستمر الطالب سبع عشرة سنة مثلا لا عيب فى سلوكه وخلقه ثم تفسد سيرته ويقبح سيره فى آخر عهده بالدراسة والتحصيل .

ومن هنا كان على مجلس الشوري ان يطلب الغاء هذا الشرط بالنسبة للشهادة العالمية بل والشهادة الثانوية وان يقصرها على امتحانات انصاف السنين وامتحانات النقل من فرقة الى أخرى مع بيان السلوك الذى يترتب عليه حرمان الطالب من النقل أو تأخيره عن اخوانه فى المرتبة

ولقد كان يجمل بواضعي ذلك المشروع ان يبحثوا عما اعتمدته معاهد العلم الكبرى باوربا فى هذا الصدد . ولم يكن بالصعب عليهم ان يطلعوا على ما قررته نظارة المعارف المصرية أيضا فى هذا الباب على ما به من القصور

هذا ما يقال فى اشتراط درجات للسلوك حتى يعتبر الطالب ناجحا فى امتحاناته

أما المواظبة فالذى أراه أن تجعل شرطا فى القسم الاولى والقسم الثانوى فلا يجوز للتلميذ التغيب فيها عن دروسه دون أسباب معقولة والا انقص من درجاته والسر فى ذلك أن الطالب فى أحد هذين القسمين شديد الحاجة الى ارشاد معلمه وتثقيفه وليس له من الادراك والعلم ما يساعده على تحصيل المواد الدراسية وحده دون استعانة بمعلمه ففي تخلفه عن شهود دروس معلمه قطع

لحلقات سلسلة دروسه ومضيعة له وهو لا يشعر فالواجب اذا التشدد معه فى أمر المواظبة حتي لا تضيع عليه ثمرات الدراسة ولا يذهب جهد الشيوخ معه سدى . ولقد يذكر علماء التربية من ثمرات المواظبة تعويد المتعلمين الوفاء بالوعود والحرص على المواعيد وتوثيق روابط الالفة بين طوائف النابتين المؤتلف منها فصول المعاهد الدراسية .

ولقد تساهلت معاهد التربية العليا باوربا في أمر المواظبة فنراها فى انجلترا تعتبر الطالب موفيا لشرط المواظبة اذا اثبت وجوده بالمدرسة ثلاث مرات فى كل ثلاثة أشهر (راجع قانون معاهد الحقوق بلندن)

ومن الممالك من لا تشترط سوى أن يدفع الطالب مصروفاته السنوية ويسجل اسمه فى دفاتر مدارسها ثم له ان يشتغل بالتحصيل بعد ذلك فى أى بلد شاء حتى اذا جاء وقت الامتحان ذهب الى حيث لجان الامتحان فيجلس فى مصاف اخوانه الذين لا يتخلفون عن تلك المعاهد يوما ما (راجع ما تفعله الحكومه الفرنسيه مع بعض طلاب الحقوق)

يظهر ان ما كتبناه أمس فى أمر السلوك والمواظبة قد غمض بعض الغموض على فريق من القراء ولزيادة البيان نقول

ان السر فى اشتراط درجات معدودة للسلوك والمواظبة انما هو القصد الى حمل التلاميذ الصغار على مداومة العمل والحرص على الاستفادة من الاساتذة لانهم كما قدمنا أمس لا يستطيعون الاستقلال بتفهم المسائل العلمية والبحث فيها وبلوغ ما قصد من الكتب الفنية والعلمية حرصا على مصلحتهم واحتياطا لمنفعتهم كلفوا بالمواظبة وعوقبوا على التخلف

وكذلك القول فى اشتراط درجات معدودة للسلوك فان فى ذلك مبعثاً

لحذرهم ومجلبة للتجافى عن مواطن الشبهات والمفاسد لا سيما وهم صغار لا يحذرون الا العقوبات ولا يرتجون الا المثوبات

أما اذا كبر التلميذ وصار فى سن الرجولية المعتد بها فانه يكون قديراً على فهم الدروس فى أكثر الاوقات وحده دون الاستعانة بمعلم كما أنه اذا عثر على ما يتعسر عليه فهمه وجدناه يذهب من نفسه فيجب عمن يساعده على حل المشكلات وتذليل المعضلات . فالتلميذ الذى هذا شأنه لا يحتاج فى الحقيقة الى اشتراط المواظبة وانما يكفى أن ينتسب الى احدى الكليات انتسابا بحثه مع توفيته حقوقها الرسمة المادية

وكذلك يقال ان التلميذ لا يمكن أن يبلغ سن الرجولية وهو فى طلب العلم الا بعد أن يقطع فى الدراسة الابتدائية وللدراسة الثانوية عدة سنين يكون فيها تحت مراقبة أساتذة وتأديبهم وتهذيبهم . ولو أن اخلاقه وآدابه استعصت على أساتذته فلم يستطيعوا تقويم أودها لما جاز لهم استبقاءه تلك السنين الطوال وامامهم من القوانين النظامية ما يوجب عليهم طرد كل من فسدت اخلاقه فساداً لا يصلحه التأديب ولا يفيده العلاج

اذاً متى بلغ الطالب ذلك العمر وجب ألا يعامل معاملة الاحداث فى زنة الاخلاق الا خلال أزمنة الدراسة

أما فى امتحان الشهادة فلا يجوز مراعاة ذلك أصلا

وحسبنا ما نراه من نظام نظارة المعارف فقد عهدناها لا تشترط فى نيل شئ من شهاداتها الابتدائية والثانوية والعالمية عدداً محدوداً من درجات السلوك والاخلاق اكتفاء باشتراط توفر ذلك وتحققه فيمن تريد استخدامه فى مصالحها ممن يتقدمون لذلك

ولننتقل الآن بالقراء الى الباب الرابع فنقول :

جاء فى جملة شرائط قبول الطالب فى الجامعة الازهرية (مادة ٦١) أن يكون الطالب سليم الجسم خاليا من الامراض

والذى نراه وجوب تفسير سلامة هذا الجسم فان الاعرج مثلا يستطيع أن يكون من طلاب الازهر فيجارى غيره من ذوى الرجلين كما أن المصاب فى احدى كريمته لا تمنعه عاهته من مزاولة الدروس والنبوغ فيها

فاذا حرم أصحاب هذه العاهات من الدراسة بالازهر وملحقاته فى أطراف القطر المصرى فالى أين يرحلون فى سبيل العلم ؟

اذاً يجب أن تعدل هذه الفقرة تعديلا يقصرها على العاهات التي لا يتمكن بسببها صاحبها من التحصيل وكذلك على الامراض الضارة المعدية

وجاء فى المادة (٧٠) أنه اذا امتنع المدرس عن أداء ما كلف به من الاعمال فصل وقطعت مرتباته بعد انذاره من قبل المشيخة

ولا يخفي أن هذا محض تعبد بسلطة الفرد وتعريض الاشخاص الى أخطار استبداده فلم لم يحتم أصحاب هذا المشروع ألا يصاب المدرس باذى حتى يعرض أمره على مجلس تأديب يتألف بطريقة منتظمة قانونية كفيلة بصيانة حقوق العباد وحائلة بين الرؤساء وبين الاستبداد ؟

وهل هذا بدع في بلدة تسير حكومتها فى معاملة جميع موظفيها على مقتضاه ؟

نحن لا نظن أن واضعى هذا المشروع بلغ بهم الاستهزاء بشيوخ الجامعة الازهرية ذلك الحد الذى لا يبيحون فيه التسوية بين علماء الازهر وبين أصغر موظفى الحكومة وأحقرهم حتى جعلوا أمرهم بيد فرد واحد يصرفهم كيف يشاء ويقضى فيهم بما يريد

عقد واضعو المشروع الفصل الاول من الباب الخامس فى أجازات الطلبة ولا بأس بما ورد فيه مادام مقصوراً على طلاب القسمين الاولى والثانوى

أما طلاب القسم العالى فأرى أن يعاملوا معاملة نظرائهم فى البلاد النظامية فيكتفي منهم باثبات وجودهم فى المعهد وانهم ليسوا خارج البلد الذى فيه المعهد الذى ينتسبون له وعلى هذا يحسن أن يكتفى بشهود الطالب الدروس أربع مرات فى كل شهر لا سيما طلاب السنة الاخيرة من القسم العالى فانهم جديرون ألا يتشدد معهم فى أمر المواظبة وشهود الدروس لانهم ربما استفادوا من المذكرات والمدارسات خارج الازهر اكثر مما يستفيدون من شيوخهم في حلقات الدروس . أضف الى ذلك انهم رجال يعقلون فلا يتوقع ان تعزت عن أذهانهم مشقات الامتحان ولا ينتظر منهم أن يلهوا عن مذاكراتهم وامامهم حساب عسير ومآرب كبير

هذا كل ما رأيناه فى الباب الخامس فلننتقل الى الباب السادس المتعلق بتأديب الطلبة والمدرسين وسائر الموظفين فنقول :

جاء فى المادة (٨٩) من المشروع أن من العقوبات التى يباح للمدرس ايقاعها على تلميذه دون استشارة ولا استئذان الطرد من المدرسة مدة أسبوع وهذا ما لم نسمع بمثله من قبل فى نظام أى مدرسة . وربما كان الاقرب الى المعقول ان يطلب المدرس من رئيس المشيخة ايقاع ذلك مقدما طلبه فى ورقة تسمى ورقة العقوبات يذكر فيها الشيخ ما ارتكبه الطالب من المخالفات ثم يردف ذلك بتعيين العقوبات التى يراها ولشيخ المعهد ان يرى

رأيه فى ذلك . فاذا عدلت هذه الفقرة على الصورة التى ذكرناها هنا كانت أقرب الى العقل وأضمن للعدل

نترك هذه الفقرة ونتدرج قليلا قليلا حتى نستوقفنا فقرة تمثل استبداد القرون الوسطى

وقبل ان نبدى ملاحظاتنا عليها يجب أن نأتي على نصها حتى يكون القارئ على بينة مما نقول وهى كما يأتى :

(ومن العقوبات التأديبية) « الرفت مع الحكم على المرفوت بالابعاد من البلد الكائن فيه المعهد مدة اكثرها سنتان »

أراني بعد ان سردت هذه الفقرة لست فى حاجة الى شرح ما فيه من الغرائب والعجائب التى لا تنطبق على مقتضى العقل ولا يقوم معها ميزان للعدل ولا تناسب روح السياسة والتدبير فى القرن العشرين

ولكنني في حل من ان أقول ان البلد الذى ينشر فيه رفات قانون المطبوعات وتحال فيه قضايا الصحف على محكمة الجنايات ويقرر قانون النفى الادارى لا ينبغى أن يتعجب منه اذا تمخض عن مثل هذه العقوبة التى لو اطلع عليها أحد من الامم الغربية لأيقن ان طلاب العلم فى الجامعة الازهرية عصابات سطو وقطاع طريق

ان من المخجل للامة المصرية بل للامم الاسلامية جميعها ان يكون طلاب العلوم الدينية من بينهم أهل لعقوبة النفى التى يريدها واضعو هذا القانون كما ان من العار الفاضح والسبة الشنعاء ان يكون فى الامة المصرية من يرضى عن وجود هذه العقوبة أو من تحدثه نفسه ان يغض الطرف عنها أو يحجم ساعة عن تقبيحها واستهجانها

نحن نعلم ان قانون العقوبات المصرى قد اشتمل على شئ من هذا ولكن لمن الحق فى تقريره ؟ وفى أى طبقات الامة ينفذ ؟ انه لا يعاقب بعقوبة النفى من بلد الى آخر الا المجرمون المعتادون ثم لا تصير العقوبة الزامية الا اذا أصدرت بها احدى المحاكم حكما قانونيا. فهل نسى ذلك واضعو هذا المشروع ؟ بل هم تناسوه ولو انهم شاؤا لما اقترحوا تقرير هذه الفقرة التى لو اعتمدت وانفذت لكانت اقبح وصمة فى تاريخ هذا المعهد الدينى الكبير ولا لصقت بطلابه من السبة ما يكفى وحده لاسقاط كرامتهم والتشهير بهم اينما أقاموا وحيثما ارتحلوا. نعوذ بالله من مشروع عاقبته الندامة الى يوم القيامة

ولعلك لا تعجب أيها القارئ بعد تلاوة ما سردناه عليك اذا جئناك بشئ آخر من هذا القبيل فقد جاء فى فصل عقوبة المدرسين ما نصه:

« اذا وقع من أحد العلماء أيا كانت وظيفته ومهنته مالا يناسب وصف العالمية يحكم عليه من شيخ الجامع الازهر باجماع تسعة عشر عالما معه من هيئة كبار العلماء المنصوص عليها فى الباب السابع من هذا القانون بابطال شهادة عالميته ولا يقبل الطعن فى هذا الحكم »

يتدبر المفكر هذه البدعة الجديدة فى ترتيب العقوبات فلا يدرى ماذا يريد مبتدعوها ولا يعرف الناموس النظامى الذى اسست عليه ؟

ويظهر لنا ان واضعى هذه العقوبة لم يفهموا معنى الشهادات ولا مزاياها ولا كيف يكتسبها صاحبها فنقول

جرت عادة المعاهد العلمية والفنية ونظامها ان طلاب العلوم والفنون

فيها اذا قضوا بها عدة من السنين أقيمت لهم اختبارات بعضها تحريرى وبعضها شفوى وقد تقام فى بعض البلاد امتحانات عمومية يؤمها طلاب المدارس على اختلافها وتغاير نسبتها . مثال ذلك مما بين أيدينا امتحان الشهادة الابتدائية وشهادة البكلوريا وامتحان مدرسة الحقوق الخديوية فى الوقت الحاضر سواء فى ذلك امتحان النقل من فرقة الى أخرى وامتحان الدبلوم النهائى . ولا يخفى أن مصر فى ذلك ليست مبتدعة لهذا النظام وانما هى محاكية للحكومات الاخرى ومقلدة لها

يتقدم الطالب لتلك الامتحانات وقد أعدت له أسئلة يقصد منها أن يسبر غوره معلوماته ومبلغ استنارة عقله وحذقه فى بعض الفنون حتى اذا تسنم عقاب الامتحان وقطع أشواطه اعترفت له لجان الامتحان بالنيابة عمن أنابها سواء كان حكومة البلاد كما فى الامتحانات العمومية أو طائفة من الناس تقوم بتثقيف العقول ونشر العلوم كما فى المعاهد التى يسمونها (المعاهد الحرة) أى التى لا سيطرة للحكومة عليها

ولقد اصطلح على أن يعطى الناجح فى تلك الاختبارات ورقة تدل على نجاحه فى الامتحان وتقوم مقام اعتراف الحكومة اللفظى بذلك فالشهادات بالمعنى الذى ذكرناه ليست الا من صنوف الرموز والاشارات دالة على أن صاحبها قد حصل مقادير صالحة من العلوم والفنون الدالة هى عليها وانه سئل فى أبوابها ومسائلها فأحسن الاجابة فيها . هذا هو معنى الشهادات . اذاً فكيف يعقل أن يكون هناك من صنوف النظام ما يبيح للفئة المسيطرة استرداد تلك الشهادات ؟ وهل معنى هذا الا أن الانسان قد اعترف له أولا بالنجاح فى الامتحان وشهد له بتحصيل طائفة من العلوم أو الفنون تحصيل احاطة واستيعاب ثم ينكر عليه ذلك بعد تحققه ؟

وهل يستطيع فرد أو أمة أو حكومة أن تسترد اعترافها لشخص وشهادتها له بأمر ما بعد أن أعلنته وجاهرت به وأعطته بذلك ورقة سجلت عليها اعترافها ؟

وهل مثل هذا الا كمثل شخص حصل فن الرسم وأجاده تمام الاجادة حتى ليستطع أحد من مختبريه وناقدى آثاره الا الاعتراف بكفايته ونبوغه اما قولا أو تحريراً

فهل من المستطاع أن يسترد هؤلاء المعترفون له بالقدرة والكفاية شهاداتهم مما معناه أن المشهود له انقلب جاهلا بعد أن كان عالما وانه أصبح لا يعرف كيف يرسم حتى الخطوط البسيطة ؟ الا أن ذلك ما لا يتصوره عقل عاقل ولا يخطر يوما ببال مفكر

لذلك ما وجد فى أمة من الامم منذ بدء الخليقة فيما اذكر عقوبة كهذه لانها أمر ينافى العقل ويضاد الفطرة البشرية وما وجدت فيما درست وقرأت وشاهدت وسمعت ما يشبه هذه العقوبة الا ما يقرره البابا من حرمان بعض الكاثوليك من دخول الجنة ! وهل يجوز تقرير هذا فى أمة دينها الاسلام وشيوخها يعلمون ما لهم من الحدود الشرعية وانهم لا يمتازون عن سائر الناس بشئ الا ما حصلوه من العلوم وما تجملوا به من الاخلاق الفاضلة الكريمة وكذلك يعلمون أنه ليس لمسلم أن يعتدى على آخر أو يتصرف فيه تصرف السيد المستبد فى عبده أو الاله القاهر فى خليقته ؟

والخلاصة ان الذي أراه ويطابقنى عليه كل من له شائبة الالم بالتربية

وفنونها ان العلماء الذين يأتون ما ينافى صفة العالمية يجب أن ينظر فى أمرهم فان كان ما يأتونه يدخل فى دائرة قانون العقوبات العام قدموا للمحكمة لترى رأيها فيهم فان ثبت عليهم شئ عوقبوا بما تراه المحكمة ثم كان للمجلس الاعلى تقرير عقوبة ادارية أخرى تناسب جريمتهم وان لم يدخل عملهم فى دائرة قانون العقوبات اكتفى بعقوبتهم عقوبة ادارية لا تبلغ مبلغ ماينص عليه فى قانون العقوبات المصرى وأرجو أن يكون فى جملة الجرائم التى يعاقب عليها العلماء اداريا ما عسى أن يأتيه بعضهم آونة بعد أخرى من ضروب الدهان والتسكع حول القصور والاختلاف الى دور الكبراء والتقاعد عن رد ما يرد على الاسلام من الشبهات وتسفيل الايدى فى جمع المال ولو من طريق تلفيق الفتاوى وتحريف النصوص القرآنية وغيرها

هذا ما أقترحه على واضعى المشروع الذين سيدافعون عنه وما أطلبه من رجال الشورى وأرجو ألا يكون فى ذلك غضاضة لاخواننا الازهريين فانى بالطبع لا أعنى منهم الا طائفة شوهت سمعة الصالحين منهم واضطرت الناس الى التهجم على الجامعة الازهرية جميعها دون تفريق ولا تمييز . ولو أن النجباء الاتقياء منهم أنصفوا لكانوا فى مقدمة العاملين على تطهير هذا المعهد الكبير الشريف من تلك الادران ولحاربوا الاراذل الذين جروا عليهم كثيراً من الشرور وأحلوا بهم الظنون السيئة من كل طائفة وأمة

وقبل ان أختم كلامى فى هذا الموضوع أحب ان استميح اخواننا الازهريين العفو اذا زل القلم بكلمة يرون فيها تهجما عليهم وحطاً من كرامتهم

فانى ما قلت الا ما اعتقدت ولا قصدت الا الاصلاح ما استطعت وانما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى

درسنا الفصل الثانى فى الكتب وفى لجنة الكتب من المشروع الجديد فلم نجد بأساً فيما ورد به من المواد بيد اننا بالاطلاع على المادة (١٢٥) وجدنا ثلاث ملاحظات أوجب المشروع على لجنة مكافآت الكتب مراعاتها والذى نراه أن يزاد على تلك الملاحظات الثلاث رابعة وهى كما يأتى :

رابعاً ان تبين اللجنة فى حالة رفض الكتاب الأوجه التى بنت عليها ذلك الرفض بالتفصيل

ذلك أنه اذا رفضت المؤلفات دون بيان الاوجه السديدة كان ذلك مجلبة لسوء الظن وكثرة القيل والقال ومجالاً لاحتكام بعض ذوى المآرب والاغراض

وجاء فى المادة (١٢٦) ما نصه :

«تفضل كتب فقه المذهب الواحد اذا اتفقت مع كتب المذاهب الاخرى فى التبويب والترتيب دون غيرهما مما سبق تقرير مكافأة عليه»

ولقد تكاد هذه المادة لا تفهم لابهامها وغموض ما يراد بها. اذ المعقول فى أمثال هذا الموضوع أن تعين اللائحة كتاباً معيناً ترضى ترتيبه وتبويبه وتنسيقه ثم تجعله مقياساً يرجع اليه فى تقدير سائر الكتب التى من نوعه . واذا لم تجد كتاباً يفى بالغرض المطلوب وضعت فهرساً مرتباً ونظاماً خاصا وشرائط معقولة ثم يشترط ان تتفاضل الكتب بمقدار تفاضلها فى استيفاء تلك الشرائط ومبلغ اشتمالها على تلك الابواب ومطابقة تنسيقها وترتيبها لما وضع فى اللائحة . أما القول بأن التفاضل بين الكتب معقود بأن تكون

فاذا لم توفق الحكومة لادخال التعديل الذى اقترحناه هنا ولم تعمل به فلسوف يكون الانتخاب سيئ العاقبة مؤلم المغبة

وقبل ان نختم كلامنا فى موضوع هذا المشروع نريد العودة الى ماجاء بالمادة (٦٢) فيما يختص بالعميان فقد ورد فيها التعبير بلفظ يجوز قبول العميان ضمن طلبة الجامع الازهر

وكان الوجب أن يقال يقبل العميان أما التعبير بلفظ يجوز فانه يوهم ان لادارة الجامعة الازهرية الخيار فى قبولهم وعدم قبولهم . وينبغى أن ينص على ما يختص بامتحاناتهم والشهادات التى يعطونها وهل يوظفون أو لا يوظفون وما ذا عسى أن تكون رواتبهم . اما قصر وظائف التدريس على البصيرين واغفال أمر العميان فان هذا خسارة كبيرة على طائفة من الامة لم تأت بجناية تمنعها من النفع والانتفاع وانما هى عاهات نزلت بهم فسلبتهم أبصارهم . ولقد أرانا التاريخ عدة من العلماء كانوا عميانا ولم يمنعهم حرمانهم من البصر أن يكونوا فى مقدمة الجهابذة وكبار المحصلين

فالمرجو أن يعني مجلس الشورى بما اسلفناه هنا من الملاحظات والله ولى التوفيق

عبد العزيز جاويش

خطبة وكيل الحقانية

في مجلس الشورى

قرأنا خطبة سعادة وكيل الحقانية التي ألقاها فى مجلس شورى أول أمس فرأيناه شديد الحملات على من يزعم أنهم رموه بالخيانة وسوء القصد وهكذا مما دل على أن سعادته يظن أن هنالك قوما فعلوا ذلك .

فاذا كان يعنى ما كتبناه فى نقد المشروع الازهري فالقراء شهود على أننا ما رميناه لحظة ما بامثال هذه الهنات وانما الذى ارتأيناه ولاحظناه آراء عنت لنا وهدانا اليها بحثنا فى مواد ذلك المشروع .

ومن البديهيات المسلمة أن الناقد لا يمكنه أن يعتقد أثناء نقده عصمة المنتقد من الزلل والخطأ والا لم يكن هناك معنى للنقد والتجريح . ولقد أعلنا رأينا لا على أن يكون هو الصواب فى الواقع وانما هو ما بلغه جهدنا وما رسخ بذهننا وأما الواقع فلعله يظهر لمن عسى أن يدرسوا الموضوع من رجال الشورى ويمعنوا فيه الرأي ولهم أن يقرروا مايرونه صوابا كما أن على المنصف منا أن يرجع الى الحق أيا كان صاحبه

يقول سعادة وكيل الحقانية « ولكن الذى يهمنا أن ينظر (المشروع) أمام الهيئة لتوضح الحق للملأ وندافع عنه حتى يحرق أصبع الحق أعين المكابرين » ونحن لا يسعنا هنا الا أن نعلن شكرنا لسعادته على عدته هذه

واعلانه الاعتصام بالحق بالحق والمدافعة عنه ونعده على أننا لا نكتفي بخرق أعين المكابرين بأصبع واحدة ولكننا نساعد سعادته على وضع جميع أصابع اليدين فى عين من يرون الحق فينكرون وتقوم عليهم الحجة فيكابرون

ولقد كنا نود أن سعادة الباشا لا يملكه الغضب حتي يثبت لسمو الامير وهو من المسلمين الموحدين ما لم يرضه الله الا لنفسه من الوحدة ونفى الشريك فلقد جاء فى خطبته ما نصه :

« بل أراد الجناب العالى الذى هو صاحب الحق وحده فى هذا الموضوع. الذى ليس له شريك فى أوامره فى الازهر من أول عهد الى الآن

فان حق الوحدة وعدم المشاركة ليس الا من حقوق الله عز وجل أما سمو الامير وأكبر ملك على وجه الارض فانهم عباد الله يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه وهل هم الا رعاة مسئولون أمام الله وأمام أحكامه عما يعملون وهل العالم فى أيديهم الا وديعة عليها يحاسبون وبرعايتها مكلفون

أما حفظ مقام شيخ الجامع الازهر واكباره فمعلوم أن الشئ اذا تجاوز حده انقلب الى ضده . فان الرئيس يجب أن يكون رئيساً فقط لا أن يكون كل شئ . فاذا نحن أخذنا المشروع بشئ فانما هو الافراط فى حقوق رياسة الازهر وحصر كل شئ فى يد الرئيس والخروج بمعنى الرياسة الاسلامية النظامية الى معنى السلطة البابوية التى تنكرها اليوم حتى الامم المسيحية أنفسها

أما الكلام فى مسألة مدرسة القضاء الشرعى فاننا ماطابقنا يوما طلاب الازهر على ماسبق لهم من طلب الغائها ولا ارتضينا لحظة انفصالها عن الازهر ولكن الذى قلناه وكررناه غير مرة انه يجب احالتها على الازهر هى ومدرسة دار العلوم وما يشابههما فى الوضع والغرض ولكن على شريطة أن يكون فى الازهر ادارة قانونية نظامية تصون هذه المعاهد عن العبث

ويظهر أن سعادة الباشا كان من رأينا فى أول الامر بدليل أن المادة التى تختص باحالة مدرسة القضاء على الازهر لم تظهر فى المشروع الا بعد أن عرض على ذوى الشأن ولذلك ألحقت هذه المادة الحاقا يعرف ذلك من رآها ملصقة بالمشروع المطبوع مكتوبة بخط اليد وكذا من يعلم أنها ما ألصقت به الا بعد أيام من الانتهاء من طبع المشروع وتوزيعه

وان كان سعادة الباشا كما يقول فى خطبته يعبد السلطة بحق ولمصلحة الامة فاننا لا نعبد الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير

يظهر أن بعض الناس قد داخلهم الشك فى حسن مقصدنا مما كتبناه فى مشروع الجامعة الازهرية والله يعلم اننا ما أردنا كما يزعمون تشويه الحقائق ولا تضليل الجمهور ولا ارباك أفكار الباحثين

نحن لم يلتبس علينا الامر كما زعموا ولا تعمدنا تضليل القراء باغفال الفرق بين تعيين شيخ الجامع الازهر ومشايخ المعاهد والمذاهب وبين ادارة الازهر وانما تدبرنا النظام الذى جاءنا به المشروع فلم نجد فرقا بين أن يكون سمو الامير هو المدير لامور الازهو وحده وبين أن يديره يقوم هو المختار لهم وحده دون سواه

اذ يديهي أنه اذا كان مجلس الادارة والمجلس الاعلى يتألفان على النحو الذى ورد به المشروع كانا ولا ريب مجردين تماما من روح الاستقلال وعاشا ما بقيا رهن اشارة زيد وأمر عمرو . فاذا كان تأليف أمثال تلك

المجالس غير خاضع لسلطة مطلقة ولا معقود بارادة واحدة انفسح امام أعضائها مجال الفكر وتقطع عقال ارادتهم وحريتهم فلا يحذرون فيما يفكرون ويديرون تأنيب مؤنب ولا بطش رئيس

أما القيود التى وضعت فى سبيل انتخاب أعضاء مجلس الادارة فانها غير كافية اذ كل ما فيها اشتراط انتخاب الاعضاء من أصحاب كساوى التشريف ممن قضوا خمس سنوات على الاقل ولكن كيف يعينون ؟ ألم يكن مرجع تعيينهم المجلس الاعلى الذى هو غير مستقل الارادة والعمل كما يظهر من طريقة تأليفه ؟

يقول المشروع ان أعضاء المجلس الاعلى ينتخبون كما يأتى :

شيخ الازهر والمفتى ومشايخ المذاهب الاربعة ومدير الاوقاف .

فالى من يرجع الامر فى تعيين هؤلاء فى مناصبهم التى استحقوا بها أن يكونوا أعضاء فى هذا المجلس ؟ أليس هو سمو الامير وحده ؟

ثم الى من المرجع فى تعيين الثلاثة الباقين من هيئة المجلس الاعلى ؟ أليس هو رئيس النظار ؟ أفبعد هذا ينكر علينا قولنا ان تأليف المجلس الاعلى يكون محصوراً بين الامير ورئيس النظار ؟

لا أظن ان ذا فكر يرمينا بالتهكم بشيخ الجامع الازهر واعلان عدم صلاحيته لذلك النفوذ والسلطة التى خوله اياها المشروع فان السنة النظامية ان القوانين واللوائح لا ينبغى أن يراعى فى وضعها وتقريرها حالة مخصوصة أو أفراد معينون أو زمن محدود ولكن يجب أن يفرض فى تقديرها كل شئ ممكن حتى تصير صالحة لكل زمان ومكان ولكل حاجة وكل شخص فما أبعدنا عن التهكم والسخرية من فرد ما لا سيما استاذنا الاكبر شيخ الازهر فى الحال . وما أجمل ان ينصف منتقدونا فلا يلجأوا الى مثل تلك السعايات

يضرب لنا الناقدون المثل بجلالة الخليفة الاعظم محمد الخامس ويخرجون من ذلك الى القول بأن السلطة التى لسمو الامير فى هذا البلد لا تخالف من أى وجهة ذلك النظام الذى فى البلاد العثمانية الدستورية ونحن على يقين انه لولا تفانيهم فى الدفاع عن مشروعهم لرأوا أن الخليفة الدستورى لا يملك الا تعيين الصدر الاعظم وشيخ الاسلام أما حق محاسبتهما ومحاسبة سائر الموظفين هناك فانما مصيرها الى الامة ونوابها فهم الذين لا يستقر فى وظيفته وظف الا اذا رضوا عنه فلا يثبت أحداً فى منصبه ارادة السلطان اذا عارضتها ارادة الامة . فليعطونا الدستور نعطهم ما لغيرهم من النفوذ والسيطرة

ولقد كنا نحب الاطالة فى رد كثير من المزاعم التى أعلنها بعض الناقدين ولكننا نكتفى بما كتبناه فى انتقاداتنا مفصلاً فان فيه لبلاغا بيد انه لا بد لنا من التعرض لثلاث نقط

(١) يراد منا أن نبين مأخذ ما قلناه من أن للمدرسين طرد التلميذ من الدرس اسبوعا . فان المادة صريحة كما قالوا فى أن للمعلم ان يطرد التلميذ من الدرس الذى وقعت فيه المخالفة اسبوعا . وهذا الذى عيناه وصرحنا به فى عباراتنا وهو الذى أنكرناه ولا نزال ننكره على واضعى المشروع أما غير هذا فاننا لم نقله

(٢) يدافعون عن عقوبة النفى ويقولون انها موجودة فى كلية (كمبردج) ونحن نقول لهم بانه لو فرضنا أن كانت دعواهم صحيحة فان مجالس هذه الكلية تنتخب وتعمل وتقرر بطريقة دستورية تمنع تأثير الاهواء فى نفوس الذين

يرون تقرير هذه العقوبة. فهنالك ضمانة تشبه ضمانة المحاكم النظامية التي يخولها القانون الحكم بهذه العقوبة . أما تخويل هذا الحق مجالس الازهر بنظامها الذى وضعوه والتى لا ضمانة معه فلا يمكن الدفاع عنه بتشبيهها بمجالس الجامعات النظامية

(٣) يقولون « وما يدرينا ألا يكون حضرة الشيخ جايش أحدهم يوما ما » يعنون أحد الثلاثة الذين يتم بهم عقد المجلس الاعلى . ثم يطلبون منا أن ننتظر حتى نرى ما عسى أن يكون فى أمر انتخابهم !

ونحن نقول بان مثل هذه العبارات لا توجه لأمثالنا واذا ظن قائلوها انها نفعت مع بعض مشايخ الازهر فسكتوا مترقبين تحقيق الامانى التى وعدوا بها فاننا لا نسكت عن اظهار الحق ولا يحملنا أى أمر على تضحية المصلحة العامة كما يفعل البعض . على أنه لو كان الذين سينتخبون أعلم الناس وأعرفهم بضروب النظام وأقدرهم على تدبير الازهر أو أكبر من الازهر فان هذا لا يحيد بنا عن المبدأ الذى يجب اتباعه فى وضع القوانين وهو ألا يراعى فى وضعها فرد معين ولا ظرف مخصوص ولا أحوال محدودة مفروضة فان القوانين انما توضع لتكون قيداً للمعتدين وهاديا للمنصفين من العاملين . أما بقية ما ورد للناقدين فضعفه يظهر من مجرد تلاوته فحسبنا اليوم ما تقدم هنا حتى لا تقع الشورى فى شئ من التشويش والارتباك والله ولي المخلصين

اطلعنا على مقال فى المؤيد يحتوى على دفع لما لاحظناه على مشروع الجامعة الازهرية . ولقد كنا نود ألا نغفل نقض ما جاء به من الردود علينا لولا اننا وعدنا أن نترك المشروع بين أيدى رجال الشورى فلا نشوش عليهم أفكارهم

وكذلك زادنا عزما على الاعراض عنها ما ملئت به تلك المقالة من السفاهات والبذاءات والتسفل فى الآداب ولو أن تلك المقالة لصاحب المؤيد لما عجبنا ولا دهشنا فان الرجل لم يعود قارئى صحيفته أحسن من ذلك ولكننا على يقين من الذين يعنيهم الدفاع عن هذا المشروع من جاءنا اليوم بقلم ليس أنظف ولا أطهر من قلم صاحب المؤيد ومن شاء أن يعرف مثالا من تلك القازورات التي لطخ بها صاحب المقالة وجه المؤيد فلنقتطف له العبارة التى جعلها خاتمة مقاله اذ قال :

« حسبنا أن نبين من هذه المقالات بعض الغلطات على الكاتب أن يحاسب نفسه بعد ذلك ويشفق على قرائه فلا يعود لمثلها وان ظل على خطته هذه عدنا الى خطتنا معه ولا نقول ان عادت عدنا

يريد بذلك التلميح الى قول الشاعر

* ان عادت العقرب عدنا لها * الى آخر البيت المعروف

هذا مثال من أدب ذلك الكاتب الكبير فليعذرنا القراء اذا مررنا بكلامه مر الكرام يسبون ثم يقولون انهم لا يعنون

الاجتماع والعمران

مقاومة انتشار الجرائم (*

مسألة مقاومة انتشار الجرائم هى من المسائل الخطيرة التى كانت ولا تزال الشغل الشاغل لرجال الحكومات وعلماء الشرائع الاجتماعية وحسبنا دليلا على ذلك ان لها علوما وفنونا مخصوصة كالسياسة الجنائية (politique criminel) وعلم أسباب الجرائم (criminologie) وعلم فلسفة العقوبات (poenologie) كل هذه العلوم وغيرها التى ترمي الى غاية واحدة وهى معرفة الادواء الناصعة لمقاومة انتشار الجرائم تدل على خطورة الموضوع وأهميته واتساع دائرته. ولذلك يصعب على الباحث أن يلم بكافة أطراف الموضوع فى مثل هذه المحاضرة وكل ما أؤمل أن آتي بفذلكة تعطى لقارئها فكرة عامة عن النظام المتبع فى أوربا لمحاربة الاجرام وعن آراء العلماء فى ترقية هذا النظام واصلاحه

موضوعنا يتناول ثلاثة مباحث

المبحث الاول — هل هناك وسائل فعالة فى منع وقوع الجرائم غير ارهاب المجرمين بالعقاب؟

المبحث الثانى — اذا كان لا بد من وقوع الجرائم فما هو أحكم نظام لضبط المجرمين ؟

(* هذا نص المحاضرة التي ألقاها حضرة الاصولي البارع والكاتب الفاضل عبد الرحمن أفندي الرافعى المحامي فى نادي المنصورة الاهلي وقد أضاف اليها بعض زيادات لم يسمح له قانون النادي بالقائها فيه

المبحث الثالث — بعد أن تضبط ما هى خير وسيلة لمعاملة المجرمين وتخفيف وطأة شرورهم فى الهيئة الاجتماعية ؟

(١)

المبحث الأول

كانت الفكرة السائدة الى ما قبل القرن الثامن عشر ان خير وسيلة لمنع وقوع الجرائم بتوقيع العقوبات القاسية على المجرمين ومعاملتهم فى السجون معاملة فظيعة فكانت همة الحكومات فى ذلك الزمان قاصرة على التفنن فى اختراع الوسائل المتنوعة لتعذيب المجرمين فى السجون ولكن هذه الطريقة التى منعتها الحكومات السالفة لم تفد أى فائدة فى مقاومة انتشار الجرائم بل كانت نتيجتها بالعكس تحجر قلوب المجرمين بسبب ايلامهم بالقسوة والشدة فكان المجرمون ينقلبون الى اناس متوحشين لا يخافون عقابا ولا يهابون عذابا . كما أن نظام القضاء كان خاليا من كل ضمانة للناس فكان القاضى غير مقيد بقاعدة أو قانون ولم يكن الناس آمنين على حريتهم أمامه . ففى أواخر القرن الثامن عشر أخذ العلماء يفكرون فى اصلاح النظام الجنائى ولكن الطريقة التى اتبعوها لم تأت بالغرض المقصود لانهم نظروا الى الجريمة فى ذاتها ووضعوا لها عقابا مستقلا عن الظروف الشخصية والاجتماعية التي أحاطت بالجريمة وكل ما فعلوه انهم قيدوا القاضى بنصوص القانون حتى يأمن المتقاضون استبداده وجوره . وكان هذا الاصلاح بمثابة رد فعل الاستبداد الذي خيم على أوربا قبل الثورة الفرنسية الكبرى . ولذلك كانت تلك الطريقة الجنائية افراطية لم تدرس فيها الجريمة درساً كاملا ولم تفد فائدة

كبرى فى مقاومة انتشار الجرائم حتى جاء القرن التاسع عشر الذى امتاز بان علماءه أخذوا يدرسون الجرائم والمجرمين درساً علمياً اجتماعياً مدعماً على الحقائق العلمية والتجارب

شرع أولئك العلماء فى اصلاح نظام محاربة الجرائم فتساءلوا : لماذا ننظر فقط الى الجريمة فى ذاتها ولا نبحث عن أسبابها والعوامل التي أدت اليها . الجرائم ما هي الا حوادث اجتماعية ترجع من جهة الى ادارة الشخص وتكوينه ومن جهة أخري الى المؤثرات الاجتماعية التى تحيط به فيجب علينا اذا أردنا أن نحارب الجرائم أن نحارب الاسباب التى دعت اليها حتي يعالج الداء من أصله

عقاب المجرمين أمر لازم لا بد منه لارهابهم وحماية الهيئة الاجتماعية من شرورهم ولكن العقاب علاج سطحى لا يكفى لمحاربة الجرائم لأنها أعراض أمراض كامنة فى جسم المجتمع فمن الواجب أن يعالج المرض لتزول أعراضه

هذه حقائق اجمالية عن مباحث علماء القرن التاسع عشر فى أسباب الجرائم ولكن هؤلاء العلماء لم يتفقوا على بيان تلك الاسباب فقد انقسموا الى فريقين مختلفين كل منهم أنشأ مذهباً يدافع عنه

المذهب الايطالى

كان المذهب الايطالى أول هذين المذهبين فى الظهور فان المذهب الثانى انما نشأ ليقاوم المذهب الاول فى مبدأه . وضع هذا المذهب وشرحه ثلاثة من علماء ايطاليا وهم لمبروزو استاذ الطب الشرعى فى كلية تورين سابقا وفرى استاذ القانون الجنائى وجارومالو القاضي بمحاكم ايطاليا . وضع أولئك العلماء كتباً عديدة شرحاً لمذهبهم ودفاعا عنه كان لها شهرة ذائعة فى عالم المؤلفات الجنائية وكانت أبحاثهم كلها موجهة الى دراسة أسباب الجرائم الكامنة فى ذات الانسان أى فى صفاته وطباعه وأخلاقه معتبرين أن المجرم هو شخص مريض يجب تشخيص مرضه واعطاؤه العلاج المناسب له

ولذلك قسم زعماء هذا المذهب المجرمين الى خمسة أقسام (١) المجرمون بطبيعتهم وهم المفطورون على الاجرام الذين ولدوا من أبوين مجرمين فنشأوا مجرمين (٢) المجرمون المعتادون على الاجرام وهم الذين نشأوا فى وسط اجرامى فنشأوا مجرمين (٣) المجرمون الهوائيون وهم الذين يوجدون فى ظروف تميل أنفسهم فيها الى ارتكاب الجريمة ولا يجدون من قوة ارادتهم ما يدفعون به تلك الظروف (٤) المجرمون عند الغضب وهم الذين يرتكبون الجريمة فى سورة غضبهم (٥) المجرمون المعتوهون وهم الذين اختل توازنهم العقلى ولو بعض الاختلال بسبب الجنون أو الادمان للمسكرات

يذهب لومبروزو أيضاً الى أنه يجب أن يكون القضاة أطباء يفحصون المجرمين كما يفحصون المرض لان المجرم لم يرتكب جريمة الا لانه مريض واذا كان للمجتمع الحق فى أن يدفع عن نفسه ضرر هذا المريض فلا يكون ذلك الا بمداواته واعطائه العلاج اللازم له فهم يرون أن تنقلب السجون الى مستشفيات يعالج فيها المجرمون كما يعالج المرضى

أهمل هذا المذهب دراسة الجريمة واقتصر كما قلنا على دراسة المجرم فى ذاته ولذلك جاء مذهبا ناقصاً ولم يكسب أنصاراً كثيرين من العلماء الجنائيين ولا من المشرعين ولكن كان له رغم ذلك فوائد عملية كثيرة لان بعض الشرائع قد استندت على بعض مبادئ وقواعد لمعاملة المجرمين

وتحسين حالتهم والسعي في تهذيب نفوسهم وترقية عواطفهم كما سنتكلم عن ذلك فى المبحث الثالث

﴿ المذهب الاجتماعى ﴾

أما المذهب الثاني فهو المذهب الاجتماعى الذى يفيد أن أسباب انتشار الجرائم أو قلتها كامنة فى الوسط الاجتماعى الذى فيه المجرمون أو بعبارة أخرى العوامل التى تؤدي الى وقوع الجرائم هى عوامل اجتماعية أكثر مما هى عوامل شخصية

يقول أنصار هذا المذهب: أصلحوا نظام الهيئة الاجتماعية يقل عدد الاشرار والمجرمين ويعيش الناس آمنين مطمئنين . ربوا الامة . أنشئوا المدارس. تستغنوا عن انشاء السجون . علموا الناس وهم صغار بدلا من أن تزجوهم فى اعماق السجون وهم كبار

يقول أيضاً أنصار هذا المذهب : كيفما يكن المجتمع تكن حالة مجرميه وأشراره. فان الوسط الاجتماعى هو المغرس الذي تنبت فيه شجرة الشر والاجرام. فاذا كان الوسط فاسداً ونظام المجتمع منحطاً تكونت فيه جراثيم الجرائم كما تتكون جراثيم الوباء فى الاوساط المستعدة لايوائها وتكوينها. هذا مجمل ما يقوله أنصار المذهب الاجتماعى ويجعلونه أساساً لابحاثهم فى الادوية الناجحة لمقاومة تيار انتشار الجرائم ومنع وقوعها. فهم يعتبرون أن خير وسيلة لمنع وقوعها ليس فى تشديد العقوبات على المجرمين ارهابا لغيرهم بل فى اصلاح الوسط الاجتماعى وتهذيب النفوس حتى تصير نفوساً تنفر من ارتكاب الجرائم

وقد أيدت المشاهدات صحة هذا المذهب . فاننا لو نظرنا الى حالة الاجرام فى سويسرا مثلا وفى غيرها من البلاد المشهورة بقلة الجرائم فيها وقارنا بينها وبين حالة الاجرام فى بلادنا لوجدنا فرقاً كبيراً بين الحالتين. فان مما يلفت نظر السائح فى سويسرا ضعف جيش المجرمين هناك . فلِمَ ذلك ؟ ألأن هناك محاكم تستعمل منتهى القسوة والصرامة فى توقيع العقوبات أم لأن الحكومة السويسرية قد تفننت فى تعذيب المجرمين فى السجون ؟

كلا ! لا هذا ولا ذاك . فان نظام محاربة الجرائم فى سويسرا هو أخف النظامات وطأة على المجرمين . فالسبب الحقيقى فى قلة الجرائم فى تلك البلاد السعيدة أن نظام المجتمع هناك راق وان الحكومة حاربت أسباب الجرائم فقضت على الداء فى مهده ومنبته

الحكومة هناك تعنى بتربية الامة وتغرس فى نفوس أبنائها حب الفضيلة واستنكار الرذيلة . المدارس هناك منتشرة فى كل قرية تؤلف بين قلوب الناس وهم صغار وتنشئهم نشأة صالحة طيبة فيقل بطبيعة الحال ميل الناس الى ارتكاب الجرائم والمنكرات

الحكومة هناك تعنى بالتعليم الصناعى والزراعى فتسهل لقومها سبل التكسب وتغنيهم عن التلصص وسلب أموال بعضهم بالباطل

الحكومة هناك تحارب التشرد الذى هو من أكبر البواعث على ارتكاب الجرائم ولكنها لا تحاربه بتشديد الوطأة على المتشردين بل بتعليم المستعدين للتشرد صناعة يتقون بها شر البطالة

الحكومة هناك تحارب المسكرات تلك الآفة التى هي أكبر عامل فى انتشار الجرائم الفاحشة وتضيق السبل على تجارها وبائعيها حتى تقى الناس شرورها وآثامها

الحكومة هناك تقوم بالواجب عليها خير قيام ولذلك صار المجتمع السويسري مجتمعاً راقياً لا تعيش فيه مكروبات الجرائم لانها لا تجد هناك وسطاً تأوى اليه وتنمو وتكثر فيه بسهولة وسرعة

تلك هى الاسباب الاجتماعية التى تؤدى الى نقص عدد المجرمين فى تلك البلاد وبهذه الوسائل تسعى الحكومات فى منع وقوع الجرائم

(٢)

المبحث الثانى

﴿ نظام الضبط والربط ﴾

(وتاثيره في قلة أو كثرة الجرائم)

انتهينا من المبحث الاول وهو تأثير الوسط الاجتماعى فى حالة الجرائم ووصلنا الى المبحث الثانى وهو نظام الضبط والربط وتأثيره فى جيش المجرمين

من أهم الوسائل التى اتبعت فى البلاد المتمدينة لمطاردة المجرمين أحكام نظام الضبط والربط فان من أكبر ما يدفع المجرم الى ارتكاب جريمة أمله فى ان لا يهتدى رجال الضبط الى اكتشاف تلك الجريمة فينجو من العقاب

عرفت الحكومات المتمدينة تلك الحقيقة فاحكمت نظام الضبط فى بلادها وعنيت بذلك عناية كبرى وضيقت بذلك الخناق على المجرمين

تسعى الحكومات جهدها فى تلك البلاد فى تعليم رجال الضبط على أحدث وأرقى نظام حتى يدخلوا فى وظائفهم متسلحين بكافة الاسلحة العلمية اللازمة لمحاربة الاشرار فيجد الاشرار أنفسهم امام أخصام أكفاء أقوياء

لا يعجزهم اكتشاف أى جريمة مهما كان مدبروها من أمهر المجرمين وأقدرهم على اخفاء معالم الجرائم

كفاءة رجال الضبط فى تلك البلاد هى آفة المجرمين ولولاها لعاثوا فساداً ولزعزعوا أركان الامن والسلام ولصار الناس غير آمنين على مالهم وحياتهم وأرواحهم لأن جيش الاجرام فى أوربا مشهود له بالقوة والاقتدار وجنوده متعلمون يستعينون على ارتكاب الجرائم واخفاء أسرارها بالدهاء والمستحدثات العلمية. فالجريمة ترتكب هناك بتدبير محكم يقف الناس امامه مبهوتين ويظنون انه يستحيل الوصول الى معرفة الفاعلين لها لضياع معالمها وآثارها. ولكن رجال الضبط لا يزالون يبحثون وينقبون سراً وجهراً ويواصلون الليل بالنهار مستعينين بكفاءتهم ومهارتهم حتى يهتدوا الى أثر ضعيف من الجريمة فيسيرون وراء هذا الأثر ويعملون على تتبعه وتوسيع دائرة معلوماتهم عن الجريمة بما وهبوا من قوة الاستنباط والاستنتاج حتى يهتدوا الى جميع أسرارها

والجمهور هناك يعلم ذلك ويقدر وظيفة رجال الضبط حق قدرها ويعتبرون انها من أشرف الوظائف وأعودها بالخير على الهيئة الاجتماعية ولذلك ينتظم فى سلك رجال الضبط هناك وخصوصاً رجال البوليس السرى أبناء أرقى العائلات ليكسبوا شرف الدفاع عن المجتمع وحمايته من اعتداء الاشرار والمجرمين

وهناك فضيلة أخرى فى رجال الضبط جميعهم من أكبر رجل فيهم الى أصغر جندى من جنودهم وهى الاخلاص والتفانى فى القيام بالواجب فترى الجندى منهم يزج بنفسه في حومة الخطر للقبض على الشقي ويرى نفسه

مهدداً بان يفقد حياته ومع ذلك لا يتأخر عن القيام بالواجب المفروض عليه

الشرطى أو الجندى البسيط يعلم أن عليه واجباً للمجتمع وهو مطاردة الاشقياء وتضييق الخناق عليهم ولو بذل روحه فى سبيل ذلك . يقدم الجندى البسيط على الموت غير هياب ولا وجل اذا ناداه منادى الواجب بان يضبط مجرما متلبساً بجريمته. فكم من دماء لأولئك الابطال أريقت فى سبيل تفانيهم فى القيام بالواجب عليهم وكم ذهبوا فريسة المجرمين والاشقياء

هذه الفضيلة التى امتاز بها رجال الضبط فى تلك البلاد والتى لا تظهر فى بلادنا الا نادراً ترجع فيما اعتقد الى سببين (أولا) انهم تربوا على تلك الفضيلة منذ نعومة أظفارهم وأشربت قلوبهم هذا الواجب (ثانياً) ان الحكومات والجماعات هناك تعرف لمن يقوم بالواجب فضله وتذكره له وتسطره بمداد الشكر والثناء فتبعث فى قلوب اخوانه روح الغيرة الشريفة وتدفعهم الى استسهال الموت فى سبيل القيام بالواجب

نرى رئيس الجمهورية فى فرنسا مثلا يسير فى جنازة شهداء الواجب ولو كانوا من الجنود البسطاء . نرى الحكومة والامة تحتفلان بهم وتتوليان أولادهم وزوجاتهم ويعطف الناس عليهم وينظرون اليهم بعين الاكبار والاجلال لانهم ورثة رجل عدته الامة من الشهداء والابطال

فالحكومات هناك تكافئ الناس على القيام بالواجب عليهم . أما فى بلادنا التى لا تهتم حكومتها بمن يموت فداء الواجب فطبيعى أن يحجم رجال الضبط عن بذل أرواحهم لاعتقادهم أنهم يبذلونها بلا ثمن أو مكافأة

فلو كان نظام الضبط يحاكي مثيله فى تلك البلاد ولو أن الحكومة تعني باحكامه كما تعنى بذلك الحكومات الراقية لوجد المجرمون فى بلادنا

أن لا مخلص لهم من رجال الضبط اذا هم ارتكبوا أى جريمة مهما احتاطوا وتدبروا فى اخفاء معالمها. ولكننا بكل أسف محرومون من مثل ذلك النظام ولذلك استهزأ الاشرار بأوامر الحكومة وقلت فى قلوبهم هيبتها وعجزت الادارة عن مطاردتهم وكبح جماحهم فاضطرت الحكومة الى وضع ذلك القانون العرفى الذى تخجل الحكومات الراقية من أن تضع مثله وهو قانون النفى الادارى

لا أريد أن أشرح قانون النفى الادارى فهو معروف مشهور. ولكنى أقول أن التجاء الحكومة الى مثل هذا القانون يدل دلالة صريحة على أنها عجزت عن مقاومة جيش المجرمين بالوسائل القانونية المتبعة فى أرقى البلاد عجزت عن ضبطهم وتقديمهم للقضاء واثبات التهمة عليهم فافلتوا من العقاب واستهانوا بقوتها فاضطرت الى أن تلجأ الى طريقة لا تحتاج الى عناء أو كفاءة أو مهارة وهى أن تأتي بمن اشتهر عنهم اعتياد الاجرام وتنفيهم نفياً اداريا فتستريح منهم . ولكن يظهر أنها لم تفكر فى أنها ربما تأخذ أبرياء بهذا القانون أو على الاقل تنفى قوما لا يستحقون عدلا أن ينفوا من بلادهم فتكون بذلك قد ظلمت الكثيرين من حيث أرادت مطاردة الاشقياء والمجرمين . ولم تفكر كذلك فى ماذا تكون نتيجة عودة المجرمين المنفيين من منفاهم بعد أن يكونوا قد قضوا مدة النفى والفوا المعيشة فى المنفى ولم يعودوا يهابون أن ينفوا من جديد. هل تنفيهم بمجرد دعوتهم أم تستعمل طريقة أخرى لاذلالهم . وما هى تلك الطريقة ؟ كل هذه الامور لم تفكر فيها الحكومة عند شروعها في الالتجاء الى النفي الادارى . ولذلك لا يمكننا

أن نعتبره دواء نافعاً لمقاومة المجرمين بل هي تجربة يجب أن نحسب حسابا كبيراً لعواقبها الوخيمة

الجمهور في أوروبا

(ومساعدته الحكومة في ضبط الجرائم)

تكلمنا عن نظام الضبط وتأثيره في محاربة الاشرار ولا بد لنا من الكلام على عامل كامن في اخلاق الجمهور في أوربا له فضل كبير في محاربة جيش المجرمين وهو شعور الجمهور هناك بواجب مساعدته للحكومة في ضبط الجرائم واكتشاف أسرارها. فكل فرد يعلم أنه مطالب بان يرشد الحكومة ويساعدها بقدر استطاعته على معاقبة المجرمين . فكم من الجرائم تكتشف بفضل ارشاد رجل بسيط من الاهالى لرجال الضبط الى سر من أسرار الجريمة وكم قبض على أشقى المجرمين بفضل مساعدة الاهالى البسطاء لحكومتهم على ضبطهم . أما الحال في بلادنا فعلى النقيض من ذلك : يقتل الرجل أو يرتكب جريمة فظيعة فقلما يهتم الافراد بارشاد رجال الضبط الى ما يساعدهم في مهمتهم وكثيراً ما تضيع معالم الجرائم بسبب ذلك

ولكن ما سبب اهمال الجمهور في بلادنا لذلك الواجب ؟ يظن بعض الباحثين في هذا الموضوع أن اللوم في هذا الاهمال راجع الى الجمهور وجهله ولكني أظن أن هناك سبباً أقوى وهو نظام الحكومة نفسه

الحكومات الدستورية لا تجعل الامة بمعزل عن أعمالها وتصرفاتها في ادارة شؤون البلاد . بل يقضى عليها النظام الدستورى بأن تترك السلطة

في يد الامة وتقصر مهمتها على تنفيذ رغباتها التي تتجلى في قرارات مجلس النواب . فكل فرد هناك يشعر بان له جزءا من تلك السلطة القوية التامة التي في يد الامة وهذا الشعور يؤدي بطبيعة الحال الى شعور آخر وهو الشعور بالمسئولية . فالفرد في البلاد الدستورية يحس ويشعر بأن عليه جزءا من مسئولية ادارة شؤون بلاده واستتباب الأمن وانتظام الاحوال فيها لانه هو الذى يدير مع مواطنيه ادارة تلك الشؤون العامة

فمساعدة الجمهور للحكومات في تلك البلاد الدستورية راجع الى الشعور العام بتلك المسئولية أما في البلاد ذات الحكومات الاستبدادية فالجمهور بمعزل تام عن سياسة الحكومة وكل فرد من أفرادها لا يحس بتلك السلطة القومية التي يحس بها الفرد في البلاد الدستورية ولا يشعر بناء على ذلك بأن عليه جزءا من مسؤولية انتظام الاحوال في البلاد

لهذا السبب يهمل الجمهور في بلادنا واجب مساعدة الحكومة على ضبط الجرائم فهو غير ملوم في هذا الاهمال بل كل اللوم واقع على الحكومة التي استبدت بالسلطة فافقدت الجمهور شعوره بواجب مساعدته للحكومة واحتملت بذلك وحدها مسئولية اختلال الامن العام

فالفضل في مقاومة انتشار الجرائم مشترك بين الحكومة التي تعني باحكام نظام الضبط وبين الامة التي تمد يد المساعدة لحكومتها في القيام بمهمتها الشريفة

(٣)

المبحث الثالث

معاملة المجرمين

للهيئة الاجتماعية الحق فى توقيع العقاب على كل من يزعجها بجريمة ارتكبها حتى يحسب الناس حسابا لعواقب الجرائم ويرتدع الميالون الى الاجرام خوفاً من العقاب . وهذا الحق المخول للهيئة الاجتماعية هو حق طبيعي لم يتناقش فيه العلماء الذين يعتمد على ابحاثهم وانما بحث العلماء فى طريقة توقيع العقاب أي طريقة معاملة المجرمين الذين ثبت عليهم ارتكاب جريمة ما ولذلك وضعوا قواعد ومبادئ تبعد العقوبة عن صبغة الانتقام التى كانت سائدة فى العهد القديم وتجعلها قاصرة على حماية الهيئة الاجتماعية من عبث المجرمين والاشرار وترمي من جهة أخرى الى اصلاح حالة المجرمين بالسعي فى ابعادهم عن تيار التمادي فى الشر والاجرام

فمن تلك المبادئ جعل العقاب على قدر نية الفاعل لا على قدر نتيجة الفعل. لأن كثيرين من الناس يأتون أعمالاً ضارة بالمجتمع ولا يكون متوفراً لديهم قصد الاضرار فادخال هؤلاء الناس فى السجون ربما يؤثر فى حالتهم النفسية والادبية بل ربما يضمهم الى جيش المجرمين فيزداد بذلك عدد جنوده ويزداد خطره على المجتمع

وكذلك أدخلت المذاهب الجديدة فى الشرائع الجنائية قواعد ترمى الى تلك الغاية الشريفة وهى السعي فى اجتذاب بعض المجرمين الى الطريق القويم مثل قاعدة ايقاف العقاب على بعض من يرتكبون الجريمة لأول مرة فقد لوحظ ان هذه القاعدة قد أفادت كثيراً في الحيلولة بين الكثيرين وبين

العودة الى ارتكاب الجرائم وكذلك قاعدة خصم جزء من المدة المحكوم بها بالحبس لمن تحسن سيرتهم في السجن حتى يكون المسجونون مدفوعين الى تحسين سلوكهم

وقد ابتكر العلماء كذلك قاعدة تجاهل ارتكاب الجريمة اذا مضت مدة طويلة على استيفاء مرتكبها لعقوبته والغرض من تناسي هذه الجريمة أن صاحبها لا يعتبر عائداً فيكافأ بهذه المنحة على حسن سلوكه مدة طويلة بعد استيفائه العقاب

أما فى السجون فقد كان للمذاهب الجنائية تأثير حسن وخصوصاً مذهب لمبروزو وأنصاره. فان فكرة اصلاح نفوس المحكوم عليهم كانت مرمى المتشرعين فى تنفيذ نظام السجون فانشئت الاصلاحيات للمجرمين الاحداث الذين خطوا وهم صغار أول خطوة فى سبيل الاجرام. فهؤلاء يرجى صلاحهم بادخالهم تلك المعاهد التي فيها يتربون ويتعلمون ويتمرنون على صناعة يتكسبون منها بعد خروجهم من الاصلاحية. وكثيراً ما حالت الاصلاحيات بين الاحداث والتمادى فى الشرور والجرائم ولولاها لخالط أولئك المساكين كبار المجرمين فى السجون وانطبعت نفوسهم على الآثام وانخرطوا فى سلك المجرمين الذين يتهددون سلام المجتمع بجرائمهم وآثامهم

ثم أن المذهب الاجتماعى يجعل من مبادئه تنوع العقوبة بتنوع الظروف والاحوال التي ارتكبت فيها الجريمة. ولذلك فكر الكثيرون من أنصاره فى اطلاق القاضى من قيد القانون حتى يكون حراً فى توقيع العقاب على حسب الظروف والاحوال لان المشرع الذى يضع مواد القانون لا ينظر الا الى أن الجريمة فى ذاتها يستحق فاعلها ذلك العقاب ولكنه لا يستطيع

أن يتنبأ بكل ما يعرض من الظروف والاحوال التى تأخذ فيها الجريمة شكلاً جديداً ليس من الاجرام فى شئ .نعم أن القانون قد تنبأ ببعض تلك الظروف فوضع أبواباً خصوصة فى الاعذار الشرعية التى تجعل الجريمة مباحة وفى الموانع القانونية من توقيع العقوبات . ولكن يستحيل أن يتنبأ بكل تلك الظروف كما قدمنا.مثال ذلك رجل اتهمته النيابة بالتزوير فى أوراق رسمية وكل ما عمله أن حكماً بالحبس صدر على شقيق له مريض فاشفق الأخ على أخيه لما رآه لا يحتمل عناء السجن فجاد بنفسه ليستوفى العقوبة بدلاً من شقيقه.فهذا العمل شريف لا ينكره انسان خصوصاً وان الاخ الذى يحبس نفسه بدل أخيه لا يفعل ذلك بنية الاضرار بالنظام العام ولا بفرد من الافراد. ولكن مثل هذا الرجل اذا قدم للمحاكمة تحكم عليه المحكمة بعقوبة التزوير فى الاوراق الرسمية بحجة انه زوّر فى دفتر السجن . . . وعبثاً حاولت بعض المحاكم أن تحكم ببراءة مثل هذا المتهم وتجعل البراءة مبدأ مقرراً مستندة على ان نية التزوير مفقودة فانهم خطأوا هذا الحكم بالبراءة لمخالفته لنص القانون الذى يعتبر هذا العمل تزويراً فى أوراق رسمية

فأنصار المذهب الاجتماعي يرون من الضرورى اعطاء القاضى حرية واسعة فى تقدير الجرائم حتى يصدر أحكامه بناء على ماياه أمامه من ظروف الجريمة وحالة المتهم ودرجة تأثير الحكم فى نفسه . فبعد أن كان من أكبر ضمانات العدل تقييد القضاة بنصوص القانون صار فريق من العلماء يعتقدون أن هذا التقييد هو أكبر مهدد للعدل . وان هذه الفكرة الشريفة لتذكرنا بذلك المبدأ الذى جاء به الاسلام فقد قسمت الشريعة الاسلامية الغراء

العقوبات الى قسمين الحدود وهى العقوبات الواردة فى القرآن والسنة والتعازير وهى العقوبات التى يحكم بها القضاة على حسب الظروف والاحوال. فالقاضى فى الشريعة الاسلامية له أن يعزر بالحبس أو بالغرامة أو بالجلد أو بالتوبيخ حسبما يراه مؤثراً فى كل متهم .هذا المبدأ بعينه هو الذى يفكر فيه أنصار المذهب الاجتماعى.فما أجل هذه الحكمة ! مبدأ وضعه الاسلام منذ ألف وثلاثمائة عام اتبعه المسلمون زمناً ثم حادوا عنه ونكبوا عن جادته وتعاقبت عليه السنون والاعوام وكادت تطويه الايام ويصبح فى خبر كان والآن يقوم رجال فى أوربا يريدون احياءه وتقريره فى الشرائع الحديثة الوضعية!

ولا شك أن كل هذه العظات البالغة وغيرها هى مصداق لتلك الآية الخالدة « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »

العالم الاسلامي

﴿ المسائل الاقتصادية ﴾

(فى فارس)

طلبت الجرائد الفارسية وضع قانون تجارى لصيانة حقوق التجار فأصدرت الحكومة قانوناً مختصا بالوثائق التجارية فأصبحت الآن هذه الوثائق تتداول بين الناس على النمط الأوربا وى . أما المدة التى يعمل فيها البروتيستو (أى الحجز لأجل نيل الحقوق) فحدد لها ٤٨ ساعة وتتم اجراءات هذا العمل أمام محكمة أهلية عرفية وفى حالة الاشكال يرفع الامر الى المحكمة التجارية .

﴿ التربية فى فارس ﴾

جاء فى جريدة الحبل المتين تحت العنوان السابق ما يأتى :

ان التربية العلمية الفنية ضرورية ولكنها لا تفى بالغرض الا اذا أضيف لها التربية الادبية . ولقد فقهت اليابان حقيقة ذلك فعملت له ولكن ماذا أعدت الفرس لنفسها ؟

لدينا كثير من القول فيما يتعلق بالكتب التى تقرأها أولادنا فى مدارسهم

ان الشعراء بوجه عام لا يتكلمون فى أشعارهم الا عن الخمور أو الحب وعادة عن الاثنين معا أو يضيعون أوقاتهم فى الهجاء ولقد اقتفى الناثرون أثرهم حتى أصبحت جميع الكتب التى تؤلف فى هذا العصر لا تصلح مطلقاً

لتربية أبنائنا بل على النقيض من ذلك هى بؤرة للمفاسد ومنبع للشرور

ولنسر الى الامام أيضاً ونبين الضرر أينما وجد وحيثما كان فالمحادثات والكلام قد صيغت أيضاً بالصفة التى صيغ الشعر والنثر بها وصار لا يخاطب الشخص أخاه الا بالعبارات البذيئة أو الخالية عن المعنى . فمن الواجب اذن اصلاح ذلك بصفة تجعل كل عبارة تصدر من الانسان تؤدى الفكرة التى يريدها المتكلم بكل وضوح وجلاء فواجب الايرانيين أن يتعلموا جميع فروع العلوم والفنون العسكرية التى تسمح لهم بالزود عن حياض بلادهم التى يهاجمها الاجنبي من كل صوب — ولا يعتمدون الا على أنفسهم فى كل حركاتهم وسكناتهم ما دامت التربية الادبية قائمة على أساس غير متين فلا رجاء من المستقبل

﴿ الجيش الايراني ﴾

نشرت جريدة الحبل المتين مشروع اصلاح للجيش الايرانى بقلم أحد الفارسيين الذين خدموا فى هذا الجيش مدة طويلة ووقفوا على علله وأمراضه وهو مقيم الآن فى الهند جاء فيه ما يأتى

« من رأيى أن الازمة التى فى بلاد فارس الآن ليست أكثر خطراً من أزمة فرنسا سنة ١٧٨٩ وعلى الاخص فى سنة ١٧٩٢ وسنة ١٧٩٣ ولكن فرنسيى هذا الوقت قد عملوا عوضاً عن أن يتكلموا فأخرسوا ألسنة العالم الخارجى لخلاص بلادهم فأحرزوا النصر المبين والفوز العظيم فليقتد بهم الفارسيون

ان تنفيذ مشروع اصلاح الجيش يعوزه المال قبل كل شئ ولذلك كان من الواجب على مسلمى ايران عموما وعلى الشعبيين أصحاب الاموال خصوصاً

أن يمدوا يد المساعدة للحكومة الفارسية التي يجب عليها أن تخصص جزءاً معيناً من ميزانيتها للدفاع الوطني — الخمس مثلا وان تؤهل أساتذة ألمانيين أو امريكان لتدريس الجيش وتعليمه تعليما صحيحاً . وهؤلاء الاساتذة يقسمون بيمين الطاعة لحكومة فارس واذا كانت هناك ضرورة لاحضار قواد عظام فيكون ذلك من الاتراك

وقد مال هذا الكاتب فى مقاله هذا الى النظام العسكرى السويسرى ذلك النظام المعقول والكفيل بصيانة الامة من عبث العابثين واعتداء المعتدين فهو يريد أن تكون نصف عدد الفرس الذين سنهم بين ٢٠ و ٥٠ سنة يكونون على أهبة الاستعداد وعلى ذلك يكون لدى الحكومة الفارسية ٨٠٠ ألف جندى تحت السلاح وعلى استعداد لرد غائلة أى غائل أجنبي

﴿ حق التأليف ﴾

(فى الممالك العثمانية)

ان القانون الذى صدر قريبا بخصوص حق التأليف يشبه فى فصوله وأبوابه قوانين الدول الاخرى التي من هذا النوع

وهذا القانون يخول للمؤلف طول حياته ولورثته من بعده مدة ثلاثين سنة (هذه المدة تخفض الى ثمانية عشرة سنة فيما يتعلق بالرسومات والخرط وما أشبه ذلك) حق التمتع بملكية مؤلفاته الادبية والعلمية والفنية على اختلافها دون أن يستثنى منها الروايات التمثيلية والقطع الموسيقية والمقالات التى تنشر فى الجرائد الخ .

أما المؤلفات الخالية من الامضاء ومؤلفات من يتوفون من غير وارث واعمال السلطات المحلية فهى من المالك العام ؛ ولايجوز لأى شخص أن يمثل

رواية دون تصريح مؤلفها . وتسجل هذه المؤلفات فى نظارة المعارف بعد ايداع ثلاث نسخ من كل مؤلف من المؤلفات كما يسجل فيها أيضاً عقود بيعها ويدفع عن تسجيل المؤلف جنيه عثمانى ونصف هذه القيمة عن تسجيل عقد بيعه أما فى الاقاليم فتناط هذه المهمة بالقائمين بالاعمال عن هذه النظارة

والمدة المخولة لكل مؤلف لاتمام هذه الاجراءات فهى سنه وينطبق ذلك على مديرى الصحف والنشرات الدورية فاذا مرت هذه المدة دون اتباع هذه الاجراءات يسقط حق المؤلف فى ملكية تأليفه . أما مؤلفو التآليف الخالية من أسمائهم أو المهورة بامضاء مستعار فلا يسوغ لهم التمسك بحق الملكية ما داموا مصرين على انكار أسمائهم

وتستر أى عمل لم يسبق طبعه رغماً من ارادة مؤلفه أو أصحاب الحق فى ملكيته يحتم رفع الدعوى على ناشره : ومجرد تقليد النسخ وادخالها الاراضى العثمانيه وعرضها للبيع يحتم عدا مصادراتها غرامة من ٢٥ الي ١٠٥ جنيه عثمانى أما الطابع على نفقته فيعاقب بالحبس من مدة لا تنقص عن اسبوع ولا تزيد عن شهرين

﴿ العلوم والجامعة ﴾

(في الاستانة)

ستدرس قريباً اللغة العربية فى جامعة الاستانة وعلى ذلك تدرس طلبة المدارس العليا العثمانية تفسير القرآن والحديث هذا من الوجهة النظرية . أما من الوجهة العملية فسيقومون بعمل تجارة مختلفة كمطالعة الجرائد ومحادثات وموضوعات انشائية وقد عين لذلك معلمان أحدهما للدراسة النظرية وهو الشيخ محمد المكى من أهل تونس وآخر للدراسة العملية وهو اسماعيل

حافظ أفندى كاتب أول محكمة طرابلس الشام الشرعية

وتدرس أيضاً فى هذه الجامعة العلوم الغربية وقد تخرج منها عدد عظيم أرسل منه ارسالية الى أوروبا كما يأتى :

٩ من طلبة الحقوق لدراستها حتى يكونوا خصيصين

٦ لدراسة الطبيعة

١ للرياضه

وقد قررت مدرسة الزراعة ارسال ارسالية أخرى الى الجامعات الاورباوية مكونة من ٩ تلاميذ من الذين تمموا دراستهم فيها

﴿ رصدخانة فى أزمير ﴾

أراد سكان مدينة أزمير اقامة رصدخانة فتبرع أهل الفضل والكرم بمبلغ ١٣٠ جنيهاً ولكن الصحف تأمل جمع ما يلزم لبنائها فى القريب العاجل

﴿ الجمعية التاريخية العثمانية ﴾

(واكتشافاتها)

لقد توصل صفوت بك أحد مؤسسى الجمعية التاريخية بفضل ابحاثه الى اكتشاف قبر ابراهيم مترفق الذى أدخل آلات الطباعة الى الاستانة فى القرن الثامن عشر وهذا الرجل كان مجرياً ثم اعتنق الدين الحنيف وتوفى بالاستانة

وقد سر جميع عمال المطابع وبائعى الكتب من هذا الاكتشاف فانضموا الى القائمين بعمل تمثال لهذا الرجل . والجمعية التاريخية تواصل البحث الآن لاكتشاف مطبعة هذا الرجل العظيم فى ضواحى سكوتارى

(الحياة العسكرية)

* فى الترك »

بينما كان ثلاثة من الالبانيين يقيمون فى سلونيك وصل اليهم تلغراف يدعوهم الى الانخراط فى سلك الجندية كما يحتم القانون عليهم ذلك فارسلت ام أحدهم التلغراف الآتى لابنها

« ابنى العزيز

ان حظك فى أن تكون جندياً فان كان لديك ذرة من الضمير فقدر الواجب الاقدس وأحب الدفاع عن الوطن حق قدره فما أسعدك وما أشقانى ! ما أسعدك بسنوح الفرصة لك وما أشقانى بزوالها عنى

فبمجرد وصول اشارتى البرقية هذه اليك اذهب الى قائد سلونيك وارج منه أن يخبرنى تلغرافيا بانخراطك فى الجيش المظفر »

وما مضى زمن قصير عقب استلام هذه الاشارة البرقية حتى قدم هذا الشاب نفسه الى القائد وأخبره بالحادثة

﴿ الجرائد فى آسيا الصغرى ﴾

يوجد فى سوريا جريدة المقتبس والعصر الجديد والشعب والراوى وحمص والقدس والنفير والرغائب ولسان الحال والمرج وجراب الكردى ولسان الشرق والاخاء والكردمل والطبيب الامين والبردونى والانصاف والنجاة والرقيب والرياض والرصفاء

(جامعة جديدة)

« فى الهند الهولندية »

تألفت جمعية هندية علمية فى جزيرة بتافيا الغرض منها انشاء جامعة

علمية لسد عوز أهالى تلك الجهة الى العلوم الحديثة وقد جمعت أموالا كثيرة للوصول الى هذه الغاية الشريفة وستلقى فيها الدروس على النمط الاوروباوى

﴿ الشيخ محمد تقى الفارسى ﴾

كتب الشيخ محمد تقى الى جريدة الحبل المتين الفارسية مقالاً جاء فيه انه يرى الدين بوجه عام والدين الاسلامي بوجه خاص شرطاً من الشروط الاساسية للحضارة والتقدم كما انه لا يجهل فوائد الطرق الاخرى التي تساعد مساعدة كبرى فى احراز فلاح الامم ونجاحها وهو يرثى لحال ايران من حيث الافتقار من الرجال المتعلمين القادرين على السير بالامة الفارسية الى مدارج السعادة وهو يميل الى تعيين رجال من الاجانب لتنظيم المحاكم والمالية والشرطة على شريطة أن لا يكون انجليز أو روس وذلك بينما ترسل الحكومة الفارسية أبناءها الى أوربا لتلقى العلم الصحيح فى جامعاتها وان تهتم الحكومة بابعاد العيون الذين ترسلهم الدول المعادية لها لاستكشاف ما يتم فى تلك البلاد وما يجب أن يتم فيها

وهناك اصلاح آخر يجب أن يتم وهو انشاء مجلس شيوخ ضرورى لتوازن القوى السياسية الفارسية ولكن من الواجب أن لا يكون هذا المجلس من عناصر ارتجاعية لا تدافع الا عن مصالح الاشراف ولا تناضل الا عن منافعهم كما يحصل ذلك فى البلاد الاجنبية

﴿ الحزب الاشتراكي الديموقراطى الفارسى ﴾

وزع الحزب الاشتراكى الديموقراطى الفارسى منشوراً على الامة الفارسية ذكر فيه الخدمات الجليلة التى قدمها للبلاد الفارسية حينما قاوم الشاه

المخلوع — محمد علي جلاد الفرس — ودفاعه عن توريس فى وقت كانت راية الاستبداد تخفق فوق جميع البلدان الفارسية ومحبو الحرية غارقين فى بحور البأس والقنوط وانه لم يحد قيد أنملة عن الخطة التى رسمها لنفسه من هذا الحين وقد تساءل هذا الحزب فى منشوره عن الاعمال التي قام بها القابضون على أزمة الامور أو الذين يطمحون الى القبض عليها

ان الخطر الخارجي ما زال محدقا بالفرس وجيرانهم يريدون الانقضاض عليهم لاستئصالهم من الوجود فاذا ما أتيح لهم ذلك عفت آثار الحرية فى فارس ماذا يقولون عن العوائد السياسية ؟ لقد أسست اللجان وأنشئت الاحزاب المختلفة وبينهم حزب « عباد الذهب » الذين يرمون ارضاء شهواتهم ومنافعهم الشخصية ويبذرون بذور الشقاق ويمنعون اتمام كل عمل صالح للبلاد

ان الحزب الاستراكى الديموقراطى لا يشبه هذه الاحزاب فى شيء اذ لا غرض له الا الصالح العام ولا غاية له الا العدالة والحرية والاخاء والدفاع عن الوطن والاسلام لانه لا يضم بين صفوفه الا حملة القلوب القوية واصم العالية ولذلك فانه يلجأ فى مساعدته الى وطنى الايرانيين وهو واثق من مساعدتهم له

﴿ دعوة الفارسيين لمسلمي الهند ﴾

نشرت جريدة الحبل المتين دعوة لمسلمى الهند نأتى هنا على خلاصتها

« ان أهم المسائل التى نوجه اليها نظركم هى مسألة السياسة الروسية التي لم يطرأ عليها أي تغيير منذ بطرس الاكبر والتى لا غرض لها سوى استئصال شأفة الاسلام والعمل على تقلص ظله الوارف من الشرق والغرب. »

« ولقد علمتم الاعمال التى قامت بها الروسيا حديثاً : تداخل حربى

آثام وحشية ارتكبها الجيش الروسى . احتلال دون مسوغ . حماية اللص رحيم خان . دسائس تدبر لسقوط الحكم الدستورى الذى يضمن العبث بالحرية ذلك الحكم الذى ينطبق تمام الانطباق على الشريعة الاسلامية »

« ان انجلترا التى يعتبرها العالم منبع الحرية قد تحالفت مع الروس . ولقد أصبحت ايران غنيمة هاتين الدولتين ثمنا لهذه المعاهدة . فما ذا يحصل اذا تم ذلك ؟ ان جميع المسلمين متضامنون وعلى الاخص مسلموا الفرس والهند وعلى ذلك يصيحون وهم محرومون من وطن يأويهم وهواء ينعشهم وماء يرويهم كما هى حالة اليهود اليوم . ان نتيجة هدم عروش دولة اسلامية لهى من أسوأ النتائج على الاسلام »

فما واجب السبعين مليون مسلم الذين يقطنون انضد ؟

ايتورون ؟ كلا . أيساعدون الفارسيين ماليا ويقدمون لهم الاسلحة ؟ كلا كلا. يجب أن يحتجوا احتجاجا قويا لدى الحكومة الانجليزية ويحضونها على عدم اتباع سياسة منافية للحرية والعدالة ان السنيين والشيعيين اخوان وكل من المذهبين يبغض التخاذل والتنابذ والشقاق فليدافعا اذن عن الحق فبعلمهم هذا يدافع كل منهم عن حقه

أسئلة وأجوبتها

حضرة الاستاذ الفاضل منشئ الهداية الغراء

نرجو منكم الاجابة على الاسئلة الآتية فى مجلتكم ولكم الفضل وهي :

﴿الالفاظ المعربة فى القرآن﴾

(١) ماهى الالفاظ المعربة فى القرآن التى انزلت بالاعجمية وعربها العرب ؟

(٢) ﴿تأثير الحسد﴾ — هل الحسد حقيقى وكيف تؤثر عين الحاسد بمجرد النظر

(٣) ﴿فائدة الصالحات﴾ — ما هي فائدة الاعمال الصالحات اذا كان الانسان كما كُتب عليه من قديم الازل شقيا أو سعيدا

﴿تفسير آية﴾

(٤) ما هو تأويل قوله تعالى (ولكم في القصاص حياة يا أولى الالباب)

نرجو من فضيلتكم الاجابة ولكم الشكر أبو هاشم علي قريط

بعزبته بفراشه

(١)

﴿الهداية﴾ — ليست هناك ألفاظ نزلت بالاعجمية وعربها العرب وانما هناك ألفاظ أعجمية جاءت فى القرآن الكريم معربة على النحو الذى كان ينتحيه العرب فى صقل الكلمات الاعجمية وردها الى أوزان لغتهم فقد كانت عادتهم اذا اخذوا كلمة من لغة غير لغتهم ان يشذبوها ويصلحوها بالحذف والابدال حتى تصير كأنها من لغتهم . والتعريب سبب من أسباب نمو اللغة فليس من الممكن أن تحيط لغة من اللغات مهما بلغت من السعة بحاجات أصحابها

ومرافقهم فهي مضطرة الى أن تستعير من غيرها الالفاظ التي تحتاج اليها. والمعربات في القرآن الكريم صنفان أحدهما ما عربه العرب في الجاهلية ثم جاء به القرآن الكريم كالابريق فانه قد استعمل قبل الاسلام في شعر عدي بن زيد اذ يقول

ودعوا بالصبوح يوماً فجاءت * قينة في يمينها إبريق

الثاني مالم يسبق استعماله في الجاهلية وانما ابتكر القرآن الكريم تعريبه كالاستبرق والمشكاة وفي كتاب الله ألفاظ كثيرة عربت من اللغات الاخرى كالفارسية والهندية واللاتينية والحبشية والعبرانية وقد بلغ بها السيوطي أكثر من مائة

(٢)

يراد بالحسد معنيان أحدهما لغوي وهو الحسد المذكور في الاخلاق وذلك أن يتمنى الانسان لغيره زوال النعمة وهذا شر ذمه القرآن الكريم ومقته الحكمة لانه يلهي عن العمل وينتج في الهيئة الاجتماعية نتائج سيئة. الثاني ما يعرفه العامة بالعين وهو أن يؤثر الانسان في انسان مثله تأثيراً سيئاً بالنظر اليه والتحديق فيه وهذا النوع موجود لا تمنعه أصول العلم والدين فان مما قرره أهل العلم أن للقوى في هذا العالم تأثيراً في الضعيف وعلى هذه القاعدة ينطبق ما يسمونه «التنويم المغناطيسي». والحسد بهذا المعنى لا يبعد أن يكون شيئاً من هذا. وقد ورد في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم «ان العين لتدني الرجال من أكفانها والابل من أوضامها» غير أن أكثر ما يذهب اليه العامة من الغلو والمبالغة في تكبير أمر العين وتهويله مبني على الاوهام والاباطيل

(٣)

اعلم أن الله تعالى خلق الانسان ومنحه العقل الذي جعله مناط التكليف ثم يسر له السبيل فسخر له من الجوارح ما يأتمر بأمره ويفعل بارادته التي وهبه الله اياها. منحه جميع ذلك ثم كلفه بصالحات الاعمال ووعده عليها الخير فجعلها أسباب سعادته في الحياة الدنيا وفي الآخرة وكذلك حذره الاعمال السيئة وكلفه مجافاتها واتقاءها وأوعده اذا اجترح شيئاً منها العذاب والنكال جزاء وفاقا بيد انه تعالى تفضل فهوّن على نفوس عباده الذين غلبت عليهم الشقوة ألا يقنطوا من رحمة الله فان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء

فاذا سبق في علم الله الازلي أن فلاناً شقي فمعناه انه سبق في علمه انه سيصرف نعمة ربه في غير ما خلقت له وانه سيعطل بارادته جوارحه عن عمل ما كلف باقامته من صالحات الاعمال ولهذا كله أعد الله له من الزواجر والعقوبات الاخروية ما يطابق أثمه جزاء وفاقا

واذا سبق في علم الله أن فلاناً سعيد فمعناه انه تعالى يعلم أزلاً أن فلاناً يستخدم عقله وارادته ومواهبه البدنية فيما خلقت له فلا يحيد عن طريق السداد ولا يعطل جوارحه عن عمل ما في وسعها من التكاليف الشرعية والآداب المعروفة ولهذا أعد له من المثوبات الجميلة في الدنيا والآخرة ما جعله تعالى ثمرة لاعماله ونتيجة لمجهوداته الخيرية الصالحة

تفسير هذا جميعه قوله تعالى(١) لا يكلف الله نفساً الا وسعها. وقوله(٢) لا يكلف الله نفساً الا ما آتاها. وقوله(٣) لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت

(١) البقرة (٢) الطلاق (٣) البقرة

وقوله (١) ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم. وقوله (٢) كل امرئ بما كسب رهين وقوله(٣)ليجزى الله كل نفس ما كسبت. وقوله (٤) ووفيت كل نفس ما كسبت. وقوله (٥) وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم. وأمثال ذلك فى القرآن كثير جداً

(٤)

خير اجابة لهذا السؤال ماقال الامام الزمخشرى رحمه الله فى الكشاف وهو بنصه (كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو أن القصاص قتل وتفويت للحياة وقد جعل مكاناً وظرفاً للحياة ومن اصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحياة لأن المعنى ولكم فى هذا الجنس من الحكم الذى هو القصاص حياة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل بأخيه كليب حتى كاد يفنى بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حياة أى حياة أو نوع من الحياة وهى الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لانه أذاهم بالقتل فعلم انه يقتص منه فارتدع فسلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان القصاص سبب حياة نفسين ؟

(الهداية) حسبنا هذا الكلام البديع فانه لم يترك مقالاً لقائل

حضرة الاستاذ الفاضل

بعد تقديم واجبات الاحترام. قال تعالى فى كتابه العزيز (انى متوفيك ورافعك الىّ) فهل كما تقول بعض علماء التفسير أن سيدنا عيسى رفع الى السماء حياً. واذا كان كذلك فقد جعلوا لله تعالى محلاً فى السماء بدليل قوله

(١) البقرة (٢) الطور (٣) ابراهيم (٤) آل عمران (٥) الشورى

ورافعك الىّ أو معنى رافعك الىّ مقربك الى رحمتى فارجو تفسير معنى هذا بما يطابق المعنى الحقيقى وارسالها باسم الباجورى ببركة السبع

الباجورى

يجب علينا الاسلام أن نعتقد من غير شك أن المسيح صلوات الله عليه لم يقتل ولم يصلب وانما اشتبه الامر على طالبيه فقتلوا وصلبوا رجلاً آخر ثم اختلفوا بعد ذلك فزعم قوم منهم انه المسيح وزعم آخرون انه غيره وهذا هو نص القرآن الكريم اذ يقول « وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيما »

واذا كان المسيح عليه السلام من البشر فلا عجب أن يكون قد مضت فيه سنة الله تعالى فى خلقه فقبضه اليه ثم رفعه مكانا عليا ليطهره من الذين كفروا وقد قال بهذا من أئمة المسلمين ابن عباس رضى الله عنه وروى كذلك عن محمد بن اسحاق القول بأن المسيح مات ثلاث ساعات ثم رفع وعن وهب أنه مات سبع ساعات ثم رفع الى الله تعالى ومعنى رفع المسيح الى الله الذى لا مكان له ولا مقر ان الله تعالى قد حال بينه وبين الكائدين له من أعدائه كفار اليهود وأحله المقام الرفيع اللائق بأنبيائه المصطفين الاخيار ويرى الذين ذهبوا الى هذا الرأي أن جميع ما ذهب اليه غيرهم فى تفسير قوله تعالى (انى متوفيك ورافعك الىّ) تأويلات بعيدة عن العقل مخالفة لنظام اللغة العربية الذى جاء القرآن الكريم بأكمل صنوفه وأبدع أنواعه وبأنه منافر تماما لما يفهم لغة وعرفا من مادة متوفيك ويستشهدون على صحة رأيهم

بقوله تعالى (١) (واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ماليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم . فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد) فان الذى يفهم من هذه الآية أن المسيح توفاه الله وقبضه اليه . ولا يحسن تأويل هذا بما عسى أن يصيب المسيح فى رأي أولئك من الوفاة بعد نزوله فان نظام الآية وسياقها لا يساعد على ذلك .

والخلاصة أن الذى يوجبه القرآن على كل مسلم أن يعتقد أن المسيح عليه السلام لم تقتله أعداؤه من اليهود ولم يصلبوه ولقد كان أهل الكتاب أنفسهم قبل اليوم فى شك من ذلك وما اتبعوا الا الظن وما لهم به من علم

أما الرفع حيا أو بعد موت فهذا ما لا يدل عليه صريح القرآن بيدأن ظاهر آياته يدل على أن الوفاة وقعت قبل الرفع كما رأيت آنفا

﴿ سؤال فى أصل اللغة العربية ﴾

حضرة الفاضل .... وبعد فقد وقع الاختلاف بين فريق من الطلبة فى موضوع هل اللغات من وضع البشر أو من وضع الاله فكان بعضهم يقول أنها من وضع الاله محتجا بقوله تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها) وكان بعضهم يقول أنها من وضع البشر ويأتي على ذلك بأدلة طويلة لا محل لذكرها ويؤول الآية ويقول أن معناها (أقدر آدم على أن واضع عليها) وبذلك لا تكون الآية قاطعة فى أن واضع اللغات هو الله سبحانه وتعالى. لان الدليل الاول وهو

(١) المائدة

التمسك بالآية طرأ عليه الاحتمال سقط به الاستدلال وحيث أننا على اختلاف فى الرأى فى هذا الموضوع الى الآن وبعضنا لا يذعن لرأى البعض الآخر وان هذا الموضوع مهم جداً ولا نرى من هو كفء للفصل فيه غير حضرتكم فقد سطرنا هذا اليكم لتفيدونا بالجواب على صفحات مجلة الهداية

ونحن على هذا الوقت منتظرون الرد انتظار الظمآن للماء الزلال ولكم منا نحن الطلبة الحيارى فى هذا الموضوع الشكر أفندم فريق من الطلبة

﴿ الهداية ﴾ — ليس الخلاف فى هذا الموضوع طريقاً مستحدثاً بل هو قديم كثر فيه النزاع بين قدماء العلماء من المسلمين وكتب فيه فريق منهم الامام الغزالى وغيره فيرى بعضهم أن اللغات وحى من الله عز وجل ويرى الآخرون أنها من صنيع الانسان ومبتكراته والذى يهدى اليه العقل ولا يأباه الدين أن اللغة شئ من اصطلاح الانسان وتواضعه وأنها نشأت مع حاجته وارتقت مع حضارته ومدنيته فلم تكن فى أول الامر الا أصواتا مبهمة حوكي بها ما يسمع من الاصوات الطبيعية كالهفيف والحفيف ونحوهما ولنا من الطفل دليل ساطع على ذلك فان أول عهده باللغة أصوات معتمدة على المقاطع يحاكي بها ما يسمعه مما يدور حوله فأما قول الله عز وجل (وعلم آدم الاسماء كلها) الآية فلا يأبى هذا الرأى بل يدل عليه . ذلك بأن للمفسرين فيه رأيين أحدهما أن المراد بالاسماء المسميات وهذا ظاهر لا تأباه اللغة فقد قال الله عز وجل (سبح اسم ربك الاعلى) وهو صريح فى رأينا . الثانى أن المراد بالاسماء الالفاظ أي أسماء الاجناس وبديهى أن التعليم هنا ليس الغرض منه الالهام والوحي وانما الغرض منه التمكين والاعداد للعلم بازالة الموانع فمعنى الآية أن الله عز وجل أودع الانسان مقدرة على اختراع الالفاظ وارتجال الاسماء ومنه

قول الله عز وجل (خلق الانسان علمه البيان) أي مكنه منه وأقدره عليه وكذلك قوله (علم الانسان ما لم يعلم) أى مكنه من ذلك وعلى كلا الرأيين فقد وقعت الآية الكريمة وما قبلها وما بعدها موقع التمثيل والغرض منه ارشادنا الى ما وهبنا الله من القدرة وما رفعنا اليه من المنزلة العالية والمكانة السامية لنسعى الى بلوغ ما أعد لنا من الكمال ؟

سيدى الفاضل.....

أرجو نشر سؤالى هذا على صفحات مجلتكم الغراء (الهدايه) ولكم من الله الجزاء ومنا الشكر

اذا امتزج الماء الطاهر بماء (الكولونيا) هل يبيح لنا الشرع ازالة حدث به أم لا)

أحد أبنائكم

علي السفطى بالمنصوره

الجواب

اعلم ان الماء متعين فى ازالة الحدثين الاكبر والاصغر عند الجمهور ولم يقع الاجماع على ذلك فى الاسلام فقد جاء فى البخارى [1] أن الحسن وأبا العالية كرها الوضوء بالنبيذ والمسكر وان صح عندهما وقال عطاء « التيمم أحب الىّ من الوضوء بالنبيذ واللبن » . ومعنى هذا على ما يظهر انه يجيز الوضوء بالنبيذ واللبن وان فضل التيمم عليهما

قال القسطلانى « وذهب الاوزاعى الى جواز الوضوء بالانبذة كلها وهو قول عكرمة مولى ابن عباس وقيده أبو حنيفة فى المشهور عنه بنبيذ التمر . . . »

باب لا يجوز الوضوء بالنبيذ ولا المسكر

وجاء فى تفسير الرازى [1] الماء المتغير بالزعفران تغيراً فاحشاً لا يجوز الوضوء به وقال أبو حنيفة يجوز وحجة أبى حنيفة ان واجده واجد للماء لان الماء المتغير بالزعفران ماء موصوف بصفة معينه فأصل الماء موجود لا محالة فواجده يكون واجداً للماء اه

وعمدة الجمهور فى تعيين الماء فى الاحداث قوله تعالى « فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيبا » فان الآية ظاهرة فى انه متى وجد الماء فلا تيمم ومتى فقد كان التيمم. ولم تزد الآية على ذلك شيئاً . والضابط الذى ينبغى الأخذ به فى مسألة الماء المخلوط بغيره انه اذا ما جرى العرف باطلاق كلمة الماء عليه من غير تقيد فهو ماء طهور يرفع الاحداث فيتوضأ ويغتسل به وان زال عنه فى العرف اسم الماء المطلق بل أصبح له اسم آخر كان غير طهور فلا يتوضأ ولا يغتسل به مثال الاول ان يخالط الماء شئ من الزعفران أو الكلونيا أو ماء الورد فان الماء المخلوط بها لا يزال يطلق عليه عرفاً اسم الماء فيفهم منه دون لبس ولا ابهام ولا خطأ فى الاستعمال . ومثال الثانى ان يكون الماء مخلوطاً بأوراق الشاى أو بدقيق البن أو ان يمزج بخلاصة الورد أو الرمان وهكذا فان الماء فى هذه الاحوال قد زال عنه اسم الماء المطلق وأصبح يسمى قهوة أو شاياً أو شراب الورد أو شراب الرمان فمثل هذا لا يتوضأ ولا يغتسل به . هذا ما رأيته والله أعلم

حضرة الفاضل منشى الهداية الغراء

﴿ السلام عليكم ورحمة الله ﴾

(١) جزء ثان صفحة ٦٠١

أفتنا فى هدايتكم لعلنا نهتدى بفتواكم عما يأتى :

فتاة بلغت الحلم ومر على ذلك أربعة أشهر ثم طلب منها فتى أن تهب نفسها له فقبلت بقولها « انى وهبت نفسى لك هبة شرعية » وعقبها هو بالقبول وكان ذلك وهما على انفراد

فالرجا أن ترشدنا عما اذا كانت هذه الهبة صحيحة من فتاة لم تبلغ الثامنة عشرة مع عدم وجود أحد يشهد على ذلك وهل يجوز عقد هذه الفتاة على فتى آخر والرجا أن تذكروا كل ما استندتم عليه فى أجوبتكم من الاسانيد الشرعية.

(الجواب) — لا شك فى أن لفظ الهبة من الطرفين هنا يراد به الزواج فان الاسلام لا يعرف معنى لأن تهب الحرة نفسها من حر الا أن تزوجه منها واذاً فنقول أن هذا الزواج باطل اجماعاً إذن مما اتفق عليه أن لا يصح عقد القران الا بشهادة شاهدين على أن المسلمين قد أجمعوا بعد ورود الادلة الشرعية الكثيرة على أن الصغير والصغيرة ليس لهما أن يزوجا نفسيهما فاما بعد البلوغ فيرى بعض الفقهاء للفتاة أن تزوج نفسها ويرى الآخرون ان ذلك ليس لهما عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم « لا نكاح الا بولى » وهو حديث صحيح لا مطعن فيه ومع ذلك فقد قال الذين أباحوا للفتاة أن تزوج نفسها بعد البلوغ أن للولى حق الاعتراض اذا كان القرين غير كفء ومن هنا يظهر ان هذا القران باطل لوجهين أولهما عدم وجود الشهود والثانى أن القران لم يكن عن رأى الولى كما هو الراجح فى الشريعة وليس هناك وجه مطلقاً لتصحيحه

منصب الرسالة

نكتب اليوم فى هذا الموضوع لنوضح مسألتين دينيتين جهلهما عامة المسلمين وغلا فيهما فريق من أولئك الادعياء للدين الواغلين فيه خداعا لهم وتضليلا حتى كادوا يفتنون الناس فى دينهم وحتى كاد جهل أولئك وغلو هؤلاء يوردانهم من الدين اجنا ويسقيانهم من صفوه رنقا ويشرفان بهم على ان يشركوا بالله عز وجل من لا يملك لهم من النفع والضر ولا من الخير والشر قليلا ولا كثيرا

هاتان المسألتان هما ماهو منصب النبى صلى الله عليه وسلم . . ؟ وما الذى يجب ان يعصم من الخطأ فيه . . ؟ فلقد زعم أولئك الغلاة المفسدون ان النبى صلى الله عليه وسلم يجب ان يحيط علمه بكل شئ وان تؤدى الينا رسالته كل شئ وان يعصم من الخطأ فى كل شئ فيتلو علينا الكتاب والحكمة ويدرس لنا اللغة والفلسفة ويعلمنا الصناعة والتجارة والزراعة وكل ما تمس اليه حاجة الانسان فى أولاه واخراه وهو بكل ذلك عالم وفيه مبرز لا يسرى اليه الخطأ والظن ولا يبلغ منه الشك والوهم تعاليت اللهم وتقدست اسماؤك وجلت عظمتك عن الند والشريك

من امثال هذه المقالة الفاحشة التى يذيعها فى العامة صفاق الوجوه وغلف القلوب فى تقديس الاشخاص ورفعهم الى منزلة الاله . مني الاجتماع الانسانى برذيلتين قبيحتين هما مصدر الشرور والآثام احداهما رذيلة الاشراك بالله والثانيه رذيلة الاستبداد فى الملك فانك مهما اضنيت نفسك فى البحث والتنقيب لم تجد علة لامتياز فرد من الناس بالالوهية أو الملك الاستبدادى الا ما ينتحله له أولئك الغلاة الجاحدون من الصفات والالقاب التي هى بالله عز وجل أحق منها بمن أصله الماء والطين

فنحن اذا شرحنا اليوم هاتين المسألتين وبينا العقيدة الاسلامية فيهما

ودعونا المسلمين الى الاستمساك باسبابها القوية وعراها المتينة فانما ندعوهم الى ماندبهم اليه محمد صلى الله عليه وسلم من الايمان بان لا سلطان الا لله وحده وان لا شريك للامة بعد الله في حقوقها .

قضت ارادة الله عز وجل ان يخلق الانسان مجتمعا مدنيا بالطبع مستعدا للرقى والسيادة على هذا العالم وما فيه وان يسلك هذه الحياة الدنيا طريقا الى حياة أخرى فيها الكمال التام والسعادة الدائمة وقد علم سبحانه ان هذه الحياة طريق مظلمة قائمة فوهب الانسان العقل وهو قبس من نوره عز اسمه ليهديه قصد السبيل ويرشده الى الصراط المستقيم يتعرف به مصالحه ويتبين به منافعه فى هذه الحياة الدنيا حتى يستقيم فيها أمره وتنتظم أحواله وعلم أيضا ان هذا المخلوق الضعيف لا ينال ذلك الا بتمجيده والاذعان له والاهتداء بهديه وان هذا العقل أقصر من ان يكفل له تعرف المصالح الاخرويه والمنافع الدنيه على أكمل وجه وأحسنه فوهبه عقلا آخر هو الرسل الذين والاهم الله عز وجل فى الامم وتابع بينهم فى اجيال البشر .

هذا شيء لا يشك فيه ذوملة ولا يمترى فيه صاحب دين ومنه نعلم علم اليقين ان عمل الرسل صلوات الله عليهم انما هو هداية الناس فى دينهم وتمهيد الامور فى حياتهم العامة لينتهوا منها آمنين الى الدار الاخرى لكيلا تكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقد علم سبحانه ان هذا لا يكون الا اذا كان المبلغون عنه بحيث يستطيعون ان يفهموا الناس دعوته ويشرحوا لهم رسالته ويقيموا عليهم حجته فاختار من كل أمة رسوله اليها

بذلك مضت سنة الله فى الاولين حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم ليتم للناس دينه ويكمل لهم شريعته فادى الامانة وبلغ الرسالة وأوضح الحجة وأقام الدليل ثم اختار له الله ما عنده فمضى الى دار النعيم

فاذا كان هذا هو عمل الرسل وتلك هى حكمة الله فى ارسالهم فلا شك فى ان العقل يجزم بانه تجب لهم العصمة من الخطأ والكذب فيما يبلغونه عن الله سبحانه وتعالى حتى تكون دعوتهم حقا لا يشوبه باطل ويقينا لا مجال للشك فيه

بهذا يجزم العقل ولا يزيد عليه شيئا فانت ترى ان عصمتهم محدودة عقلا بحدود الوحي وان العقل لا يوجب لهم العصمة فى غير ذلك فهو لا يوجب عليهم ان يكونوا أطباء أو فلكيين أو رياضيين لأنهم لم يبعثوا ليكونوا كذلك وانما بعثوا ليكونوا مبشرين ومنذرين لمن آمن بالله أو كفر به فاما فى غير ذلك فليس بينهم وبين غيرهم من الناس فرق قليل ولا كثير

فاما العلوم والحرف وغيرها من أمور الدنيا فانما السبيل اليها سعى العقل وكده لان الله عز وجل لم يهبنا العقل عبثا ولم يخلقه لنا من غير حكمة ولو كان من عمل الرسل ان يرشدونا الى كل ما نحتاج اليه فى هذه الحياة ما كان للعقل فائدة ولا تثبت فى خلقه حكمة والله عز وجل مبرأ من العبث فى أفعاله وليس ذلك انتحالا منا أو اختلاقا بل هو ما ذهب اليه أئمة المسلمين وجمهورهم فانهم لم يقرروا العصمة للانبياء الا من تعمد الكذب فيما دلت المعجزة على صدقهم فيه كدعوى الرسالة وما يبلغونه عن الله وقد اجازوا عليهم الكذب سهوا وان خالف فى ذلك بعضهم وقرروا لهم العصمة من الكبيرة والكفر بعد الوحي وان خالف فى ذلك الخوارج على ان أهل السنة لم يعصموهم من الكبيرة الا سمعا واما عقلا فقد اجازوها ولهم فى كل ذلك قبل الوحي خلاف كثير فمن شاء فليرجع اليه فى كتب الكلام واذا كان مبلغ ما أوجبه العقل واتفق عليه أئمة المسلمين هو عصمة الانبياء من تعمد الكذب فيما دلت

المعجزة على انهم صادقون فيه ومن الكفر والكبيرة بعد الوحي واذا كان العقل لا يهدى الي أكثر من ذلك فمن أين تنتحل للانبياء ان يحيطوا بكل شيء علما وليس هذا كل ما نقوله فى هذا الموضوع بل كثير من أئمة المسلمين فى الكلام وأصول الفقه قد جوزوا على النبي صلى الله عليه وسلم ان يجتهد فى الاحكام قبل نزول الوحى وان يخطئ فى اجتهاده قالوا وقدوقع ذلك بالفعل ودل عليه كثير من آيات الكتاب الكريم كقوله عز وجل (ما كان لنبي ان يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخره الخ) وأصل ذلك انه صلى الله عليه وسلم استشار صاحبيه أبا بكر وعمر فى أسرى بدر فاشار أبو بكر باخذ الفدية لانهم العشيرة الاقربون وأشار عمر بقتلهم ومال النبي صلي الله عليه وسلم الى قول أبى بكر فعاتبه الله فى ذلك بالآيه

هذا حديث رواه مسلم وقصة ذكرها المؤرخون بلفظ أطول من هذا نقول ولو كان النبى صلى الله عليه وسلم معصوما عن الخطأ فى كل شيء ناطقا بالصواب والحق فى كل شيء ما جاز له ان يجتهد ولا ان يستشير لأنه لا يخفى عليه الحق وليس فوق رأيه رأى ولا وقع منه الخطأ لكن كل ذلك قد كان

واذا لم يكف هذا لاقناع المعاندين المكابرين فان فى قوله عز وجل (وشاورهم فى الامر) ما يقطع السنة المبطلين ويحطم اقلام المضلين فقد علم الله ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر يخطئ ويصيب وان العصمة التامة له وحده وان رأى الجماعة اذا لم ينزل الوحى أقرب من رأيه صلي الله عليه وسلم الى الحق فامره بالشورى وعرف النبي من نفسه ذلك فأتمر وكثيرا ما كان يشاور أصحابه فى المسائل الخاصة والعامة ويمضى برايهم الا ان ينزل وحي وفى صحيح

البخارى أنه صلى الله عليه وسلم استشار عليا واسامة بن زيد فى أمر الافك وعمل برأى اسامة حتى نزل الوحي بجلد القاذفين وفى صحيح البخارى أيضاً انه صلى الله عليه وسلم استشار أصحابه فى الخروج الي أحد فاشاروا عليه به فلما لبس لأمته واستعد للخروج أشاروا عليه بالمقام فابى ائتمارا بقوله عز وجل فاذا عزمت فتوكل على الله وقال لأصحابه لا ينبغى لنبى يلبس لأمته فيضعها حتى يحكم الله وقد عقد البخارى بابا فى صحيحه لما سئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم قبل الوحي فسكت أو قال لا أدرى وقد روى فى سكوته أحاديث كثيرة منها حديث ابن مسعود بينا انا أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى خرب المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه لا يجئ فيه بشيء تكرهونه فقال بعضهم لنسألنه فقام رجل منهم فقال يا أبا القاسم ما الروح فسكت فقلت انه يوحي اليه فقمت فلما أنجلى عنه قال (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا)

وصح على غير شرط البخارى أحاديث تدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل فقال لا أدرى منها ان رجلا سأله أى البقاع أحسن فقال لا أدرى (راجع شرح البخارى لابن حجر والقسطلانى) ومن قرأ اخبار المغازى فى كتب الحديث والسير عرف ان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما كان يشاور أصحابه فى أمور الحرب ويعمل برايهم وفى قصة بدر من ذلك ما ينفع الغله وقد صح فى غير واحد من كتب السنه قوله صلى الله عليه وسلم أنتم أعلم بامور

دنياكم وقوله ما كان من أمر دينكم فالى وما كان من أمر دنياكم فانتم أعلم (١)

وقد عرف أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منه ميله الى المشوره فكانوا يسألونه اذا هم بشيء أوحى هو ام رأى فاذا كان الرأى أشاروا عليه فاستمع لهم (راجع قصة بدر)

كل هذه أدلة ظاهرة لا يشوبها الشك ولا ينال منها الظن عند أى انسان الا اذا كفر بالله وجحد كتابه وكلها يدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن معصوما عن الخطأ الا فيما يبلغ عن الله عز وجل وانه صلى الله عليه وسلم علم ذلك فوكل الى الناس أمور دنياهم وان الله عز وجل علم ذلك فامره بالمشاوره ولعل لقائل ان يقول ان هذا يضع من قدر النبي ويغض منه فنقول كلا وانما الغلو في تقديسه وتمجيده والزيادة فى ذلك على ماجاء فى كتاب الله وسنة رسوله هو الذى يحط قدره لانه كذب عليه وافتراء على الله وأى شيء أحط لقدر الانسان من مدحه بما ليس فيه وقد قال الله عز وجل (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الىّ انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) فلم يجعل للنبي على الناس فضلا الا بالوحي والرساله وحسبك بذلك نعمة ليس فوقها مطمع لانسان

والآن وقد أطلنا فى القول فى غير ملل وبلغنا ما نريده من اثبات ما أدعيناه يجب ان نقف عند هذا الحد وأنا لنرجو ان يكون فى هذا القول هداية للضالين وارشاد للجاهلين

طه حسين

(١) راجع صحيح مسلم

﴿ تفسير جزء تبارك ﴾

للفاضل المغربى

﴿ سورة الملك ﴾

(٣)

(أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ)

كان المشركون يكذبون النبي صلى الله عليه وسلم ارتيابا بقوله واستحقاقا بما كان يوعدهم به . فكانت الآيات تنزل تترى فى الاحتجاج عليهم . وتسفيه آرائهم وحضهم على التصديق . وتخويفهم العذاب ان هم أصروا وكابروا . وقد كان معظم السبب فى اصرارهم ونكولهم ظنهم أن لا شيء مما أوعدوا به يمكن أن يصيبهم . فاحتج عليهم سبحانه بما صنع بالامم التى كانت قبلهم . وقد كذبت . فأهلكها . ثم أخذ فى هذه الآية والتى تليها ينبه المشركين الى شمول قدرته ويدعوهم الى التفكر بأنه تعالى قادر بذاته على الحاق العذاب بهم . فان من عجائب قدرته ما يرونه فى كل وقت وآن من تحليق الطيور فوق رؤسهم واستعلائها فى طبقات الهواء . مع أنها أجسام ضخمة كان من مقتضى النواميس الظاهرة للمادة أن تسقط على الارض . ولكنه تعالى بقدرته وعجيب حكمته . خالف فى أجسام الطيور نواميس سائر الاجسام ذات الثقل

وهيّئ لها نواميس أخرى لائقة بها . بحيث تمكنها من التحليق والاستعلاء في الهواء من دون أن تسقط . من فعل هذا ؟ ومن أمسك هذه الاجرام الثقيلة ومنعها من السقوط ؟

وما أمسكها الا الرحمن الذى رحم هذه الحيوانات فيسّر لها من وسائل الطيران والانتقال . بسهولة من مكان الى مكان . ما حفظ به نوعها . وانتظمت معه معيشتها . واستمرت عليه حياتها . ولا بدع فهو تعالى بصير يعطى كل شيء من مخلوقاته القوى والسنن اللازمة له . والمتوقف عليها بقاؤه .

وقد ذكر علماء العصر أن أكبر الطيور العائشة اليوم على وجه البسيطة طير يسمى «الكندر» ثقله سبعة عشر رطلا . والبعد بين طرفي جناحيه اذا ضمّهما أى بسطهما عشر أقدام

والقصد من هذه الآية تنبيه المشركين المكذبين الى باهر قدرته تعالى وأن من له هذا التدبير العجيب في تكوين خِلْقَةِ الطير ولا يُعجزه أمرهم ولا يفوته بلوغ ما يريد من انزال العذاب بهم

بقي هنا شيء : وهو لماذا قال تعالى (صافّات ويقبضن) ولم يقل (صافات قابضات) أو (يَصْفِفْنَ ويقبضن) ؟ أى لماذا عبر عن الصفّ بالاسم وعن القبض بالفعل ؟ صف الطائر أى بسط جناحيه فى الهواء حالة الطيران . وقَبَضَهما اذا ضمّهما وضرب بهما جنبيه . والاصل الذى يساعد الطير على الطيران انما هو الصفّ أى بسط الجناحين . واذا ضمها أحيانا عاد فبسطهما للحال . فهو لا يمكنه أن يبقى قابضاً لهما وطائراً فى آن واحد . على عكس البسط فانه يبقى ملازما له ساعات كثيرة . فما كان الاصل فى الطيران وهو الصف جيء به على صيغة الاسم فقيل صافات . لأفادة ان الصفّ هو شأن

الطيور التى تثبت عليه . وصيغة اسم الفاعل تفيد الدوام والاستمرار .

ولكن فى بعض الاحيان يطرأ على الطيور وهى طائرة مايدعوها الى قبض أجنحتها اذ أن القبض مما تستظهر به على البسط ويساعدها على التحرك والسرعة فى الطيران . ولذلك أى لما كان القبض أمراً طارئاً وعرضياً فى الطيران جيء به فى الآية بلفظ الفعل المضارع الذى يفيد التجدد والتكرر فقيل يقبضن . ويكون مؤدى الكلام هكذا :

ان الطيور صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة .

وعندى أن النكتة فى التعبير عن القبض بفعل المضارع تصوير الحالة تجاه ذهن المخاطبين وزيادة تعجيبهم منها : فانا لما قلنا لهم انظروا الى الطير صافّات عجبوا من أمرها . ثم يخفّ العجب حينما يقع فى نفوسهم أنها عند صفّ أجنحتها وبسطها يكون قد دَعَمَها الهواء من تحتها كما يدعم الاجسام المنتشرة المنبسطة فيه . فاذا نبّهناهم الى أن الطير يقبض أجنحته أحياناً فى أثنا الطيران ولا يقع نكون زدنا فى عجبهم . وهجنا من دهشتهم . والفعل المضارع بما فيه من التجدد والحدوث والزمن يساعد على تصوير حالة القبض واحضارها فى ذهن المخاطب أكثر من الاسم . يعرف ذلك من تَفَطَّنَ لأساليب العرب وتأمل فى مَنا حى كلامهم .

هذا وان طيران الطير ما زال من المشكلات التى لم يحلّها العلم الحديث على طول باعه فى الاكتشافات والوقوف على أسرار الطبيعة . وقد عَدُّوا من أبعد الأمور عن التعقُّل استمرار الطيور طائرة وأجنحتها مصفوفة موازية للأفق وهى لا تتحرك . وقد أعلن بعض علماء أوربا منذ بضع سنين أنه اكتشف الناموس الذى به يتمكن الطائر من الطيران . لكنه لم ينشر

فصيل ما عرفه من أمر هذا الناموس . غير أن العلماء اتفقوا على أن السبب في استمرار الطيور طائرة يرجع الى تقعُّر أجنحتها وتحدُّبها وكونها غير مسطحة . وعلى أساس هذه النظرية بدأ النجاح في طيران الانسان . وأخذ الطيارون يضعون أجنحة طيَّاراتهم على أوضاع وأشكال تحكي ما في أجنحة الطيور من الأوضاع والاشكال .

ذكَّرنا القارئ بطيران الانسان . وربما خطر في باله أن طيران الطيور لم يعد موضعاً للعجب ولا دلالة فيه على القدرة الالهية التي أراد الله الاحتجاج بها على المشركين . ولكني أقول : أن طيران الانسان في الواقع وتسقُّط الامر أكثر دلالة على قدرته تعالى من طيران الطير . ولو كان الانسان قد اهتدى في عصر النبوة الى مسألة الطيران في جوّ السماء . لكان تعالى عَجَّبَ المشركين من أمره كما عجَّبهم من سير الفلك على وجه الماء . اذ عدَّه نعمة على البشر كبرى . وآية على قدرة الله عظمى . ولعمري انه لا فرق بين طيران الطير وطيران الانسان في أن كلا منهما أثر من آثار قدرة الله . وعجيب صنعه في خلقه . طار الطائر بقوى ونواميس مُودَعة في تركيب جسمه . وهذه القوى والنواميس من الله .

وطار الانسان بقوى عقله وعلمه وبحثه وملاحظته وصبره وثباته . وبنواميس المادة وخصائصها التي استخدمها في الوصول الى صنع طياراته . وكل هذه القوى والنواميس لم يأت بها الانسانُ الطيَّارُ من بيت أبيه وجَدِّه . ولا من عالَم آخر غير عالَمنا . مخلوق لآله آخر غير الهنا . وانما كل تلك النواميس والقوى نعمة من الله . وفيض من روح الله . آمنَّا بالله . وما أُنزِلَ علينا من عند الله .

(أمَّن هذا الذي هو جُندٌ لكم ينصرُكم من دون الرحمن ان الكافرون الاَّ في غرور * أمَّن هذا الذي يَرزُقُكم إن أمسكَ رِزقه بل لجُّوا في عُتُوٍّ ونُفور *)

هذا الكلام مقابل لقوله قبله (أوَ لم يَرَوا الى الطير فوقهم صافَّات) كأنه يقول : أو لم ينظر المكذِّبون الى عجيب صنع الله في خلق الطير فيعرفوا مبلغ قدرته تعالى على انزال العذاب بهم . أم أنهم تعاموا عن ذلك اعتداداً بأنَّ لهم من غير الله قوة تحميهم ان أراد اهلاكهم وترزقهم ان أمسك رزقه عنهم .

فالقوة الحامية لهم في زعمهم هي جندهم وسلاحهم . والقوة الرازقة هي آلهتهم وأصنامهم . وهذا هو شأن المشركين في زمن البعثة : فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خوَّفهم البطشةَ الكبرى ذكروا له من منَعتهم ونُصرة جندهم . واذا حذرهم القحط وأنه تعالى قادر على أن يحبس عنهم المطر . ويمنع وسائل الرزق . أظهروا الاستغناء وأن أصنامهم تمدهم حين الحاجة من صنوف الرزق بما شاءوا . فوبخهم الله على الأمرين . وأبطل لهم كلا الزعمين : فلا الاعوان الذين لديهم بقادرين على أن يحموهم . اذا أراد الله اهلاكهم . ولا الأوثان التي يعبدونها بالتي تستطيع أن ترزقهم اذا أراد الله امساك الرزق عنهم

والاشارة الى « الجند » في الآية الاولى والى الاوثان في الآية الثانية — بكلمة هذا الدالة على القرب مما يفيد في هذا المقام تحقير المار اليهم وانحطاط شأنهم . كما أن التعبير باسم الاشارة الذي يدل على البعد مثل ذلك الكتاب لا ريب فيه يفيد التعظيم . ورفعة الشأن .

« الجند » العسكر والاعوان : معناه جمع . ولفظه مفرد . وقوله في صفته « ينصركم » مراعى فيه جانب اللفظ .

وكلمة « دون » مقلوبة فى الاصل عن «دنو» ومعناه القرب. ثم استعملت فى المكان القريب

ومَن هو فى مكان قريب منك كان بالضرورة مغايراً لك . ومن ثَمَّه كثر استعمال « دون » بمعنى « غير » : فمعنى « من ينصركم من دون الله » من يقدر ان ينصركم نصراً واصلاً اليكم من غير الله ؟

ويمكن أن ندع « دون » على معناها الاصلى وهو المكان القريب . ويكون حلُّ المعنى على هذه الصورة : من يمكنه أن يَمُدَّكم بالنصر من مكان قريب من الله ؟

ولا ريب أن كل الامكنة قريبة منه تعالى أى انه تعالى عالم بالامكنة وبمن حل فيها . وليس قربه منها كتقارب بعض الاجسام من بعض

فكل أحد إذن عاجز عن نصرة المشركين : لأن الله ناظر الى من ينصرهم عن كَثَب متمكن من قهره والأخذ بناصيته .

والاستفهام فى الآية الاولى ينتهى عند قوله (الرحمن) وقوله (إنِ الكافرون الا فى غرور) بمنزلة الجواب أى لا جند لهم فى الواقع ونفس الامر قادر على نصرتهم فليس الكافرون اذن الا مغرورين مخدوعين . و « إن » هنا نافية مثل ما وليه

وكذا يقال فى استفهام الآية الثانية . فانه ينتهى عند قوله « رزقه » وقوله « بل لجُّوا فى عتوٍّ ونفور » قام مقام الجواب . كأنه يقول : كلاَّ لا أحد غير الله يرزقهم . ولم يدعنوا هم لهذا الامر الواضح بل تمادوا فى تمردهم وكبرهم وتباعدهم عن قبول الحق واتباع النبي صلى الله عليه وسلم

(أفمَن يمشى مكباً على وجهه أهدى أمَّن يمشى سوياً على صراط مستقيم)

كَبَّه على وجهه صرعه وقلبه . والرجل الذى انقلب يقال عنه انه قد أُكِبَّ بالهمزة . فالمكبُّ اذن هو الذى يتخلل مشيه عثارٌ وسقوطٌ من وقت الى آخر إما لضَعف بصره أو لوعورة الطريق . وعكسه « السَّوِيّ » وهو الذى يمشى مستوى القامة ثابتَ الرجل . و « أهدى » افعل تفضيل أى أشد هداية وأقرب وصولاً الى الطيِّبة التى ينتحيها

والكلام تمثيل لحالة أولئك الذين وصفهم بالعتوّ والنفور فى الآية السابقة . ثم مقارنتهم بالمؤمنين الذين أذعنوا للحق والذي مهَّدَ لهذا التمثيل ذكر التمرد والنفور . فان العاتى العنيد اذا نفخ الشيطان فى أنفه فتمرد ونفر ضلَّ وعَمِيَ عن القصد فيأخذ فى أن يعتسف الطريق اعتسافا

وهكذا كان شأن المشركين . فقد كانوا كالماشى الذى يقع على وجهه فى كل خطوة يخطوها . أما المسلمون فكانوا كالذى يمشى مرفوع الرأس منتصب القامة ثابت القدم فى طريق لاحب . لا صخور فيه ولا عوائر فأى القبلين أشد هدى وأنجح سعى ؟

(قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلاً ما تشكرون)

اذا كان حال المشركين على ما وصفنا من الضلالة عن القصد والاعتساف عن طريق الحق كانوا ولا ريب ملومين أشد اللوم : وذلك لانه تعالى خلق لهم الحواس والمشاعر . ومتعهم بالعقل . ويسَّر لهم أسباب النجاة . ووسائل الهداية . فلم ينتفعوا بشئ من ذلك . ولم يشكروا الله على هذه الوسائل وتلك الاسباب فيستعملوها فيما خلقت لأجله . بل ضلوا وحادوا عن طريق الهدى الى طريق الردى

فقوله « قل » أي يا محمد فى تبكيت أولئك الذين عتوا ونفروا . وتورطوا فى الضلال : ألم تعلموا ان الله الذى يدعوكم الى الايمان هو الذى خلقكم وجهّزكم بأسباب الرشد والهداية من سمع وبصر وقلب . فلِمَ صممتم عن المواعظ ، وعميتم عن الآيات ، وغلظت قلوبكم فلم تنفذ اليها أشعّة الحق ، لا جرم انكم قوم لا تشكرون . وبنعمة الله تكفرون والقلّة كثيراً ما تستعمل في كلام العرب ويراد بها عدم الفعل لا حصوله على وجه التدور : فاذا قلت قلّما أرى فلاناً يكون معناه « لا أراه » لا « انى أراه قليلا »

التربية والتعليم

حجاب المرأة

فى الاسلام (*

شرع الاسلام فى جملة ما شرع من الاحكام أدباً خاصاً بالمرأة متعلقاً بموقفها ازاء الرجل الاجنبي عنها وقد تنوع هذا الادب وتطور وسمي « حجابا »

والغرض منه صيانة كرامة النساء وتوفير حرمة الاعراض من حيث يؤدي ذلك الى دفع الشرور وراحة العائلات وطمأنينة النفوس والاستيثاق من الانساب

هذا هو الغرض من تشريع « الحجاب » بوجه الاجمال ولكن ما هو حد الحجاب وكيفيته وشكله ؟

لم يحدد الاسلام له صورة خاصة ولا كيفية بعينها وانما أشار الى طرائق تساعد على الوصول الى الغرض المقصود ويمكن ارجاع هذه الطرائق الى ثلاثة أمور :

(١) على المرأة ان تدع التبرّجَ امام الرجل الاجنبي عنها : فلا تبدى زينتها ولا شيئاً من معارى بدنها امامه ولا تظهر بحالة تلفت أنظار الرجال الاجانب اليها

(*) للفاضل المغربي

(٢) على المرأة ألا تخلو برجل اجنبي عنها خشية ألا تكون نفسها أو نفسه تشبّعت بالعفة الصحيحة فتمس كرامتها وتسقط بين المرائر حرمتها ومهما كان الرجل والمرأة واثقين من أنفسهما عند الخلوة فانهما لا يكونان واثقين من الناس فيسيئون بهما الظن ويتقولون عليهما بالاقاويل

(٣) على المرأة ألا تسافر من دون أن يكون معها أحد محارمها خشية أن يصطو على ضعفها قويّ خؤون من الرجال

هذا معظم ما أشار به الاسلام علينا معشر المسلمين من الطرق التى نتوصل بها الى تخليق نسائنا بالعفة والحيلولة بينهن وبين ما يدنّس كرامتهن

أما نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقد شرع لهن الاسلام أدباً خاصاً بهن . وهو القرار فى البيوت : « وقرْنَ فى بيوتكن » وعدم جواز محادثة الرجال لهن وجهاً لوجه : « فاسألوهن من وراء حجاب » . وفى تخصيصهن بهذا حكم وأسرار اقتضتها الحالة اذ ذاك ولا محل لذكرها الآن

ثم جرى المسلمون فى حجاب نسائهم على طرائق أخرى اختلفت باختلاف بيئاتهم وأقطارهم وعمرانهم وأمزجتهم وسائر المؤثرات التى تحيط بهم حتى بلغ الامر بواحد منهم — وهو أبو مسلم الخراسانى القائد الكبير ومؤسس الدولة العباسية — الى حبس زوجته فى بيت خاص بها لا منفذ له سوى كوة تعطى منها طعامها وشرابها وقد اركبها مرة على بغلة وبعد وصولها أحرق السرج وذبح البغلة أنفة من يركبها أحد من الرجال

وبلغ الامر ببعض الصلحاء المتنطّعين ان كان لا يأذن لنسوة بيته بالخروج أبداً فلزمن البيت وكنّ لا يعرفن الدواب والانعام فكان الاستاذ يصف ذلك لهن وقد أرادت احدى الفلاّحات المسيحيات من الدخول

عليهن فمنعنها بداعى أن دخولها لا يجوز شرعا كما علمهن والدهن . وحتى بلغ الامر بالفقهاء أو المتشددين منهم ان يكلفوا المرأة بوضع أصابعها فى أقصى حلقها ثم تخاطب الرجل الاجنبي الذى جاء يسألها من وراء الباب عما اذا كان بعلُها فى الدار أو لا

وهناك طرائق فى الحجاب أخفّ مما ذكر : مثل إلزامهن بالقرار فى البيوت بحيث لا يخرجن الا للزيارات أو للحمّامات أو للحاجات ليشترينها من السوق أحياناً ومثل الزامهن بأن يتلفّفن بثوب من فرقهن الى قدمهن ويضعن على وجوههن نقاباً يستر الوجه أو لا يبين منه سوى المحاجر وما يليها

والتلفّف بالازار والنقاب تختلف أشكاله وأوضاعه باختلاف الاقطار الاسلامية : فمنه ما هو كالكيس الاصم يفرغ على رأس المرأة وينسدل على أربع جهات جسمها . ولا منفذ فيه سوى ثقبين صغيرين على موازاة المقلتين ومنه اشكال أخر يعرفها من ساح فى مصر وسوريا والاستانة وبلاد المغرب . وسمع شيئاً عن ازرة نساء الهند والصين ومسلمى روسيا

قلنا ان الغرض من الحجاب حفظ كرامة النساء . وان الاسلام اشار الى طرق خاصة وان المسلمين اهتدوا الى طرق اخرى أرادوا بها مؤاذرة ما شرعه الاسلام من تعزيز شأن المرأة فألزموها بالقرار فى بيتها وبالازار اذا خرجت منه وبأن لا تكلم رجلاً أجنبياً ولا تحضر الجُمَع والجماعات ولا دروس الوعظ ولا تزاول من الاعمال سوى مهن البيت . وكأنى بالقارئ ينكر أن يكون الحجاب على هذه الصورة مما أحدثه المسلمون . ويذهب الى انه مما شرعه الاسلام نفسه وأوجبه على المسلمين ايجابا . ثم يستشهد على دعواه بنقول تاريخية .

وآثار دينية تتضمن أن ماذكر كان معروفا لدى المسلمين فى قرونهم الاولى . وانهم كانوا يلزمون نساءهم به باعتبار انه شريعة لازمة وقضاء مبرم

أنا لا اجادل فى تلك النقول والآثار . وانما اعارضها بنقول وآثار أخرى تدل على ان الحجاب المتعارف عليه بيننا اليوم ليس مما شرعه الاسلام على سبيل الحتم وانما ألزم المسلمون به نساءهم (سدًّا للذريعة) : والاصل الدينى (أن ما يؤمر بفعله سداً للذريعة كان فاعله مكلفاً به بطريق الندب والاولوية لا الحتم والالزام)

روي أن أبا أسيد الساعدى رضى الله عنه دعا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى وليمة عرسه . وكانت خادمهم العروس نفسها : كانت تقدم اليهم من نقيع التمر فيشربون .

وكانت زوجة عبد الله بن عمر تنزل الى المسجد فتصلي الفجر غَلَساً . ثم احتال عليها زوجها فمنعها من النزول سداً للذريعة وخوف الفتنة . وحكايته في كيفية منعها مشهورة .

وكان أبو بكر الصديق يجتمع بالنساء الاجنبيات ويحادثهن

وكان سفيان الثورى وأضرابه يزورن رابعة العدوية ويسمعون كلامها .

وكانت عائشة الباعونية (فى القرن الحادي عشر من الهجرة) تقرأ درسا عاما في الجامع الاموي فى دمشق ويحضر درسها العلماء والصلحاء وعامة الناس .

وكان عمر بن الخطاب اذا رأى امرأة مرخية قناعا على وجهها كشف القناع ونظر اليها فان وجدها جميلة أقرها على فعلها . والا ألزمها بالسفور وترك التقنع .

وكانت عائشة بنت طلحة الصحابى الكبير مع جمالها لا تستر وجهها عن

الرجال لعظم قدرها . وكبر نفسها . (أي أنها تشعر فى نفسها بأنها أعظم من أن يحدّث نفسه بها محدّث) وكان يدخل عليها الشعراء فتجيزهم الجوائز الكبيرة .

وكانت سُكينة بنت سيدنا الحسين وحفيدة فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم — عفيفةً بَرْزَةً (والبرزة فى اللغة بارزة المحاسن والمرأة الجليلة تبرز للقوم يجلسون اليها ويتحدثون معها) فكانت سكينة تجالس الجِلَّةَ من قريش ويجتمع اليها الشعراء وتأذن للناس اذناً عاما حتي تغص الدار بهم فتأمر لهم بالأطعمة . ثم تسأل الشعراء وتنقد أقوالهم وتجيزهم .

ومن نساء البادية عَمْرَةُ الجَمْحِيَّه : كان يجتمع اليها الرجال لأنشاد الشعر وكان أبو دهبل من أشراف قومها . ومن المترددين على مجلسها . فبلغها أن النساء يتحدثن فى حبها له وحبه لها فرفعت مجلسها وتركت مجالسة الرجال الا من وراء حجاب .

فهى بذلك قد احتاطت لنفسها . وسدت الذريعة دون التقول عليها . ونعماً فعلت .

وكما يقال عن عقائل لوندره وباريس اليوم . ان فلانة منهن (صاحبة صالون) يجتمع فيه الفضلاء والعلماء والادباء للمسامرة والحديث — يصح أن نقول نحن ان أولئك العقائل العربيات الثلاث (عائشة . وسكينة . وعمرة) كن من ذوات الأندية فى صدر الاسلام

وروى صاحب الاغاني أن المرأة فى أوائل الاسلام كانت تجالس الرجال فى الاندية وتخاطبهم وتذاكرهم . وكانوا لا يرون فى ذلك منكراً . اللهم الا اذا آنسوا ريبة فهناك يحتاطون لأنفسهم . ويحفظون كرامتهم . ولو بطلب البراز (دويللو) . فيلاحظ مما ذكرنا أن هذا الحجاب الكثيف

المعروف فى الامصار الاسلامية اليوم لم يكن مما شرعه الاسلام وانما حدث بحدوث ضعف الوازع الدينى على النفوس وغلبة الفساد والترف بين الناس وانحطاط شأن الفضيلة والاخلاق . فرأى أهل الدين والشرف أن يلزموا نساءهم بالقرار ويستروهم اذا خرجوا بالازار . ويحولوا بينهم وبين مواقع الانظار . ثم قلد العامة الخاصة فى ذلك وأصبح عادة متبعة . وتقليداً مجتهداً فيه . وفى حجب النساء على هذه الصورة احتياط يلتحم مع آداب الاسلام ما لم يؤد الامر فيه الى سقوط شأن المرأة . وضياع حقوقها . وغلبة الجهل عليها . فتضعف عن القيام بالوظيفة التى وكلتها اليها العناية الالهية : وهي تربية النوع البشرى جيلا جيلا . فعلى المسلمين اذن أن يسعوا كل السعى فى امداد نسائهم من وراء الحجاب بالعلم والمعرفة وتعليمهن ما يلزمهن تعلمه من قواعد الدين والادب ومبادي الفنون اللازمة لهن . ولا يدعوا الحجاب يحول بينهم وبين ما يفرضه عليهم الدين الاسلامى من هذا القبيل .

وفى المقال الآتى نذكر السبب فى عدم مشروعية هذا الحجاب الكثيف وهو منافاته لطبيعة الاسلام . المنطبقة على طبائع العمران مهما اختلفت مظاهره . وتعددت صوره .

اسكلة طرابلس الشام

المغربى

قلنا انه يوجد نقول وشواهد يعطى ظاهرها أن الحجاب المتعارف عليه اليوم هو مما أمر به الاسلام ثم سردنا نقولا وشواهد أخرى تفيد أن ذلك الحجاب ليس مما ألزم الاسلام الزاما . وانما جرى عليه المسلمون سداً للذريعة .

واذا تعارضت هذه النقول ثم تساقطت رجعنا الى طبيعة الدين الاسلامى والي طبيعة العمران البشرى وأقنعاها محكمين فى المسألة .

لا جرم أن الاسلام دين عام فى الزمان والمكان والمخاطبين فهو لا يختص بعصر دون عصر . ولا يقتصر الخطاب فيه على طائفة من البشر دون طائفة ولا قطر دون قطر :

فاذا شرع الدين الاسلامي أدبا أو قرر حكما ينبغى أن نلاحظ فيه السر والغرض من التشريع . فحيثما وجد الغرض فى عملنا كنا عاملين بما أمر به الدين . وحيثما انتفى الغرض لم نكن عاملين بما أمر به . ومن ثم جاء فى قواعد الاسلام الاساسيه (الامور بمقاصدها) أي ولا عبرة بالعوارض والجزئيات

فالغرض من تشريع الحجاب انما هو صيانة المرأة والحيلولة بينها وبين كل ما يشين أدبها وحرمتها . وهذا الغرض هو الذى يخاطب به المسلمون والمسلمات مهما كان زمنهم ومكانهم . وعلى أى حال كان عمرانهم ونوع اجتماعهم : كانوا ساكنين فى البدو أو فى الحضر . وكان عمرانهم راقياً أو منحطاً . وكانت المرأة مضطرة بحكم نوع معيشتها ان تشارك الرجل فى السعي والعمل للعائلة أو لم تكن .

هذا الغرض هو ما يأمر به الاسلام . ويدعو اليه سائر الاقوام .

اذا قام فينا معشر المسلمين فى هذه الايام (دُعاة) ثم بثثناهم فى سائر

أقطار العالم لأجل التبشير بديننا . وحمل الامم على قبول تعاليمنا . وجئنا الى مسألة المرأة والحجاب فماذا نأمر أولئك (الدعاة) أن يكلفوا به الامم . ويلزموا به نساءهم ؟ وما هو نوع الحجاب الذى يعلمونه لأولئك النساء الداخلات فى الاسلام فيمارسنه ليكن عاملات بآداب الدين الاسلامي ؟

اذا اجتمع من هؤلاء (الدعاة) فئة فى مدينة باريس مثلا وبرهنوا على صحة الاسلام . ثم جاء الدور للحجاب فأرادوا أن يكلفوا الباريسيات به . فماذا يقولون لهن ؟

المصرى يخرج من تحت ابطه ملاءة وبرقع

والشامى يخرج حبرة ومنديل .

والتركي فراجه ويشمق .

والايرانى والجاوى والهندى والقتارى والمراكشى والبخارى — كل واحد من هؤلاء الدعاة الافاضل يعرض زىّ الحجاب الدارج فى بلاده ويكلف المرأة الباريسية أن تحتذى مثاله وأن تستقر فى دارها فلا تخرج منه ولا تخالط أحداً من الرجال ولا تزاول عملا غير الاعمال البيتية .

وهناك (دعاة) الى الدين الاسلامى من أهل القرى وسكان البادية . وربما كان عدد هذا الفريق نصف الأمة الاسلامية أو أكثر من النصف .

هؤلاء الدعاة القطريون يعرضون على الباريسيات قناعا بسيطا ويشيرون عليهن أن يتلفعن به ويسدلنه على صدورهن . ثم لهن أن يسعين مع رجالهن فى طلب الرزق ومزاولة بعض الاعمال التى يطيقونها خارج البيت .

هنالك تقوم قيامة بقية الدعاة من سكان الامصار الاسلامية وتحتدم نار الجدال بينهم وبين دعاة القرى والبوادى فى أن المرأة المسلمة هل يلزمها

أن تتلفف بثوب يسترها من فرقها الى قدمها أولا ؟ وهل تلزم البيت أولا ؟ وهل تخرج لضرورة أولا ؟ وما هو قدر الضرورة المبيحة للخروج ؟ وهل وجهها عورة ؟ ولماذا لم يكن عورة ؟ وهل يسوغ لها أن تشارك الرجل فى الكسب بقدر طاقتها اولا ؟ وهل يصح أن تمارس عملا غير الاعمال البيتية من فراش ورضاع وطبخ أولا ؟ وما معني المرأة المترجلة ؟

كان الدعاة يتحاورون ويتناظرون . وكل منهم متأثر بالمؤثرات التى أحاطت به منذ نشأته .

فكان الواحد منهم يستمد الدليل على دعواه من شعوره وفهمه الخاص ومن عادات بلده وتقاليد أسرته . ومن تقريرات شيوخه وآراء علماء المذهب المنتمى اليه — ولا يستمده من طبيعة الدين الاسلامى ولا من طبيعة النوع البشرى ولا من طبيعة نواميس العمران الاجتماعى المتحدة مع طبيعة الاسلام .

طبيعة الاسلام هى أنه دين عام ملائم لمصلحة البشر . قابل لتطبيق تعاليمه عليهم جميعهم مهما اختلفت عناصرهم ومواطنهم وأزمانهم . فيلزمنا أن نقرر مسألة الحجاب اذن تقريراً يمكن أن يخضع له ويطيق استعماله — عند الدعوة الى الاسلام — مجموع النوع البشري لا بعض طوائفه أو جماعات منه .

فالحجاب الذى يطيقه المجموع هو ماقررناه فى مقالنا السالف : من ترك التبرج والخلوة بالاجنبي والسفر مع غير محرم وكل ما يحدث ريبة أو يمس الشرف والكرامة . أما « القرار » و « الازار » فان أطاقه نساء الامصار الاسلامية فلن يطيقه نساء القرى والبادية ولا النساء البولونيات المسلمات . ولن يطيقه نساء باريس اليوم .

فهل النساء القرويات والبدويات والبولونيات المسلمات معذبات يوم القيامة جزاء تركهن « القرار » و« الازار » ؟

وهل نساء باريس المسيحيات غير داخلات فى مفهوم « أمة الدعوة » بحيث يصح لنا أن ندعو الى الدين الاسلامى كل أحد الا أولئك الباريسيات وأضرابهن ؟

اللهم ان هذا القول لا يقول به الا من وقف من تعليم الدين الاسلامى على الظواهر والجزئيات والآراء الخاصة والتقاليد الموروثة .

هذه هي طبيعة الاسلام أما طبيعة العمران الانسانى فهو الانتفاع بالقوة . لان القوة أساس التكامل الاجتماعى وكلما ارتقى نوع البشر ازدادوا احتفاظا بالقوة وازدادوا بحثا عن مصادرها وأنواعها وطبايعها وكيفية الانتفاع بها . ولا يخفى ان النساء نصف البشر وهن شقائق الرجال كما ورد فى الحديث. فهن اذن قوة عظمى مهما تفننا فى نسبة الضعف اليهن .

واذا كان النساء قوة كان الاجتماع الانسانى مضطرا للانتفاع بهن . وبحسب اختلاف أطوار هذا الاجتماع تختلف طرائق الانتفاع .

فعمران الامصار الاسلامية أطافت به مؤثرات جعلته يكتفي من الانتفاع بقوة النساء بالفراش والرضاع والطبخ . أما نوع معيشة الاسكيمو والزولوب وأهل القرى والبوادى وعمران أمم أوربا وأميركا — فلا يمكنهم قط ان يفرطوا بقوة النساء فيلففونهن بالازار ويلزمونهن بالقرار ويقولون لهن : انتن ضعاف لِدُوا وربُّوا واطبخوا ولستنّ مكلفات بغير ذلك . وانما يقولون لهن قوموا بوظيفتكن الطبيعية المذكورة واستعملوا قواكنّ المختلفة

فى مساعدتنا وتوفير كل ما به فائدة لهيئة اجتماعنا أو نوع معيشتنا حسب طاقتكنّ .

ومن تفطّن لحالة البشر فى سذاجتهم القديمة البدوية وحالتهم فى حضارتهم الجديدة الأوربية عرف مبلغ مساعدة المرأة فى الحالتين . وتأثيرها فى المجتمعين. البدوى والمدنى . والاسلام بطبيعته السمحة لا يمكنه ان يقول لهؤلاء الاقوام المكلفين بالأيمان افعلوا غير ما يقتضيه عمرانكم وطبيعة اجتماعكم وانما هو يأمرهم فى شأن حجاب نسائهم بالمبدأ العام أعني تربية المرأة تربية صيانة وعفة وفضيلة وسلامة أعراض وحفظ انساب يقول لهم اسلكوا للحصول على هذه المزايا مختلف الطرق التى تلائم طبيعة عمرانكم : قرار وازار . أو غير ذلك من الأساليب والاطوار .

اذا كنتم لا تثقون من حفظ حرمة نسائكم وكرامة عقائلكم الا بهذا النوع من الحجاب أحجبوهن .

واذا رأيتم ان حفظ الحرمة والكرامة يكون باسلوب آخر غير الحجاب بحيث لا تخرجون فيه عن أصول دينكم ولا تتعدّون حداً من حدوده . أو تصادرون غرضاً من اغراضه جاز لكم ذلك .

أترَوْنَ لو نشر سيدنا عمر بن الخطاب من قبره واصطحب زوجته الى القاهرة للسكنى فيها . ورأى أنه اذا حجبها على الطريقة الوطنية كانت عرضة للامتهان ومس الكرامة واذا جعلها تمش فى الاسواق كما تمش السيدات الاوربيات فلا يتعرض لها متعرض ولا يغازلها مغازل — فأىّ الحجابين يختار عمر ؟ وباى زىّ يلزم زوجته ؟

ومحصل القول ان حجاب النساء وعاداتهن وتربيتهن وموقفهن ازاء

الرجال يختلف باختلاف الاعصار والامصار . وهـذا الاختلاف ناشئ عن سنن الهية ونواميس عمرانية لايمكن لأحد ان يغير أو يبدل فيها . وحاشا الدين الاسلامي — دين الفطرة والعقل — ان يصادم هذه النواميس وانما هو يحرص على حفظ روح تشريعه ثم يدع جسم العادات والتقاليد تتغير حسب وطأة النواميس ولنورد للقارئ الكريم مثالاً من أمثلة تغير أطوار المرأة فى تاريخ الاسلام :

كان المسلمون فى سابق عهدهم لاسيما الدولتين العباسية والاندلسية — يبيحون لفتياتهم ان يتعلمن ماشئن من فنون العلم والادب والتاريخ والشعر والغناء . وكن يحادثن الرجال ويجتمعن بهم ويغنين امامهم . ناهيك ان « علية » بنت الخليفة المهدى . وحفيدة الخليفة المنصور . وأخت الخليفة هرون الرشيد . وعمة الخليفة المأمون — اخترعت ألحاناً فى الغناء بلغت ثلاثة وسبعين صوتا وكلها من بديع الصنعة على مارواه صاحب الأغاني .

والحكايات المروية عن محاورات أئمة اللغة والشعر والادب مع النساء فى صدر الاسلام — مشهوره وفى الكتب مسطورة .

ثم طرأ على العمران الاسلامى فى القرن الخامس ماغيره عن وضعه الاول . ولم يزل يتدلى الى هذه العصور الاخيرة . ومنذ خمسين سنة منع بعض العلماء ابنته حواء وعمرها خمس سنوات أن تذهب الى « المعلمة » تتعلم عندها الخياطة وقراءة القرآن بداعى انه رآها مرة تمشي فى السوق وهى راجعة من بيت المعلمة وقد جعلت تلتفت يميناوشمالا من تحت الحجاب الكثيف المتلفعة به فراعه الأمر وحرمها الذهاب الى المعلمة . أما اليوم فان ابنتها أى ابنة حواء المذكورة تتلقى فنون النحو والادب والخط ومبادى العلوم العصرية واللغة

الفرنسية والبيانو وأشغال اليد المختلفة فى مدرسة بنات أجنبية وهى فى سن العشرين تقريبا . وبالامس اشترى لها والدها (بيانو) بخمسين جنيها تتمني « علية » بنت المهدى لو كان لها واحد مثله .

الى هذا الحد بلغ التغير فى مدى الخمسين سنة الاخيرة . وربما بلغ فوق هذا بين النساء المصريات والتركيات لا سيما اللواتى يترددن الى أوربا . فهل نجمد معشر المسلمين مع الجامدين ؟ أو نطبق عمراننا على ما تقتضيه السنن الاجتماعية الملائمة لاصول الدين ؟ مع ملاحظة أن ديننا دين عام . لاتختص به أقوام دون أقوام ؟

المغربى

اللغة والأدب

زلات الاقلام

(١)

من تتبع ما يرد فى كثير من متداول مصحف بالنقد وجد فى موضوعها ومعربها من اللحن والوهم وزلات القلم ما يضيق به ذرعا . فان فيها من التخليط فى التركيب والقلب فى الوضع والخطأ فى الصناعة ما يحزن البصير من الاشفاق على لغة أوشك ان يتقوّض ناديها ويقفر واديها

يتناول البصير صحيفة من تلكم الصحف فلا يكاد يتلو فيها سطراً أو عبارة حتى يقع له من مقلوب الاوضاع ومبتذلها ما يقيمه بين العجب والاسى ويقطع قلبه خوفاً على هذه اللغة من تلك الفوضى الكتابية التى تنذر بشر مستطير

فقد انقطع كل عقال فى هذا البلد وأصبح كل من شدا قليلاً من النحو وألمّ بشئ قليل من المنظوم والمنثور يحشر نفسه فى سواد الكاتبين فيجرى قلمه على الطرس يسوّده بما تلقفه من أمثاله بلا بحث ولا نكير ولا يعدم هذا من يزلّ على أثره فيشيع الزلل وتتبدل الاوضاع

وانا ذاكرون لك فى هذه العجالة مثلاً مما يتابع فيه هؤلاء الناس بعضهم بعضاً بلا تروّ ولا فحص وهو كثير يراه الناقد البصير فى تضاعيف الصحف وما تلفظه المطابع وسنذكر فى كل جزء طائفة من تلك الزلات عسى أن يكون ذلك باعثاً للمخطئين على التحرى والاهتداء الى الصواب

فمن ذلك قولهم هذا الامر (عرف) من الناس . يريدون أنهم عرفوه فيبنون الفعل لما لم يسم فاعله جهلا به أو لغرض آخر من أغراض حذف الفاعل وانابة المفعول منابه ثم يعودون فيذكرونه مجروراً بمن وحذف الفاعل وذكره بعد ذلك على ما ترى غريب !

وقولهم فلان (بالكاد) يفهم ما أقول . يريدون أنه لا يكاد يفهم وهذه الصورة هى الصحيحة . وانما يقع لهم ذلك الوهم فى التعريب الحرفى

ومنهم أمى يجهل على العرب ولا تعجبه لغتهم يقول ويكرر قوله ان الاقباط لا يريدون كذا (طالما) المسلمون يريدون كذا . يريد بقوله طالما ما دام وذلك من أغرب ما سمع وان لم يكن من مثل قائله غريباً

وقولهم زار فلان فلاناً (بصفته) رئيساً له مثلا . وهذه الصورة يتعذر ردها الى وجه فى الاعراب وانما هى من التعريب الحرفى والصحيح أن يقال باعتباره وينصب المنصوب بعده على المفعولية للمصدر المضاف

وقولهم هذا (القائمقام) كان من (المديريين) . فيزلون زلتين الأولى جعل اللفظين المتضايفين لفظا واحداً واعرابهما اعراب المفرد ووصل أحدهما بالآخر ولا تكاد تخلو من هذه اللفظة صحيفة عربية . والثانية زيادة ياء النسبة بلا معنى . والصواب أن يقال هذا القائم مقام كان من المديرين

وقولهم ألف هذا الكتاب (بمعرفة) فلان . يريدون أن هذا الكتاب ألفه فلان لا أن التأليف حصل باطلاعه والمؤلف له غيره . وأكثر ما يجئ مثل هذا التركيب فيما يعربونه عن اللغات الأخرى

وقولهم (الشبيبة المتنورة) . يريدون به النابتة المستنيرة أو الشبان

المستنيرين . وأكثر ما يشايع الكتاب بعضهم بعضاً فى هاتين الكلمتين على كثرة من نبهوا الى الصواب فيهما

وقولهم (أناط) فلان بى كذا . يريدون ناط فيزيدون الهمزة خطأ وأغرب من هذا قول من يقول هذا الأمر (مأنوط) بى فى اسم المفعول من ناط !

وقولهم ليس هذا الامر من (صالحنا) يريدون أنه ليس مما ينفعهم . وانما هى المصالح والمنافع

وقولهم سيق الجانى (موثوقا) للتحقيق يريدون أنه كان مشدود الوثاق فيبنون اسم المفعول من وثق الثلاثى خطأ والصحيح فيه موثقاً . وقد وهم فى هذا اللفظ بعض كبار الشعراء فقال يخاطب النيل :

أصبحت فى مصر (موثوقا) الى أجل * وكنت وحدك حراً فى نواحيها

وقولهم (ازدرى) فلان بفلان . يريدون أنه حقره فيعدون الفعل بالباء وهو متعد بنفسه . وقد وهم فيه بعض كبار الشعراء

وقولهم فلان (عبارة عن) شخص مجرد من الفهم مثلا . وهذا البناء عبارة عن عدة غرف متكاسرة فيجعلون الشخص والبنيان عبارتين . وان هذه العبارة لتجرى العَبَراب !

وقولهم (كم) فلان ذو عقل . يريدون ما أعقل فلاناً يتعجبون من سعة عقله فيأتون بهذا التركيب السخيف الذي لا يقع فيه أمي ولا ينزل اليه عامى وعقولهم بان يعجب منها أحق وأولى

هذه مثل مما علق بالحافظة من زلات الاقلام . نذكرها فى هذه

العجالة تنبيها لأولئك الذين يتلقفون الصيغ والأوضاع من أفواه أمثالهم ومما تلفظه صحف يكتبها أشباههم

نذكرها تنبيهاً لهم عسى أن لا يأتوا فيما يكتبون الا بما صح استعماله وكان مردوداً الى وجه صحيح فى الاعراب فان تخبطهم وتورُّكهم على تلك الاوضاع الغريبة عن اللغة والتراكيب التى لا وجه لها فى الاستعمال مفض الى ما علمت من الضرر وشيوع الفساد فى لغة العرب

ومما يزيد الخطب أن يكثر فينا المتخبطون ويقل المنتقدون فتهاجم العجمة هذه اللغة من عدة جهات . واذا سهل على جماعة من النقاد أن يتعقبوا مايرد فى بعض الصحف من أمثال هذه الزلات ويردوها الى وجهها فانه ليس من السهل أن يتعقبوا كل ما تخرجه المطابع فى هذه الأيام وهو كثير . واذا أضفنا الى ذلك أن من هذه الزلات ما سبق لبعض المطلعين التنبيه اليه وتبيين وجهه ونقد زيفه وأنها لاتزال مع ذلك يتابع بعضهم فيها بعضاً أيقنا أن الامر مما يحتاج الى كثير عناء واشتغال

اللهم قيّض للغة كتابك الحكيم ونبيك الكريم من ينعشها من هذا العثار وينقذها من ذلك الاسار فقد آذاها قوم لا هم يخدمونها بانقطاعهم عن خدمتها ولا هم يكفون عن خذلانها كلما دعت أهلها الى نصرتها

العام الهجرى

مضت حقبة من الاجيال والقرون تمر بنا رءوس الاعوام الهجرية فلا يحتفل بها كأنما ذلك الحادث الجلل لم يكن بالشيء الذى يعبأ به مع انه لولا أن الله أنجى رسوله الأكرم من أيدى أهل الكفر والضلال وعبدة الاوهام والاصنام ما قام منار الاسلام ولدامت ظلمات الشرك طباقا لا تنسخها شمس الهدايات ولا تزحزحها العقول المستنيرة.

ظهر سيد الكائنات عليه السلام والناس ينحتون الحجارة بايديهم فيصورونها تماثيل ثم يقيمونها فى محاريبهم ليعبدوا منها آلهة لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عن أنفسها شيئاً

ظهر والناس يشركون بالله غيره من أفراد البشر ويجعلون له أنداداً يحبونهم كحب الله أو أكثر

ظهر والناس لا يحتفظون بحق ولا يتناهون عن منكر. كانوا يستبيحون الحرمات ويكرهون فتياتهم على البغاء. كانوا يأكلون أموال الناس بالباطل فلا يرقبون الله فى أموال اليتامى ولا يبالون أن يعضلوا النساء الايامى ليلتهموا ما ملكت ايمانهن. كانوا لا يرحم منهم كبير صغيراً ولا غنى فقيراً. كانوا يأكلون التراث أكلا لما ويحبون المال حباً جماً يطففون المكاييل وينقصون الموازين فاذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون

كانوا يئدون البنات خشية العار وما عرفوا أن التربية تقوم النفوس المعوجة. كانوا يقتلون الاولاد خشية الاملاق وما علموا أن الله يرزقهم واياهم

كان الناس على ما وصفنا وجاء به الكتاب الكريم فظهر فخر الكائنات عليه السلام بآياته البينة وبراهينه الساطعة وتعاليمه المتينة وسنته القويمة

ظهر بتوحيد المعبود وتوحيد القلوب والمؤاخاة بين المسلمين والحث على مكارم الاخلاق والعدل بين الناس ولين الجانب لأهل العهد والذمة والرفق بما ملكته الايدى من الحيوان

ظهر بالترغيب فى عتق الرقاب وتحريرها ووعد الذين يفعلون فى ذلك مغفرة من ربهم ورضوانا

ظهر بالرفق بالانسان وازالة الاطواق عن العقول البشرية. حضها على النظر والفكر وأمر أمته بالشورى كما كان يستشير صحابته فى الشؤون العامة ويأخذ بصالح آرائهم فيها

وبالجملة فقد أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فكان ما أراده جل شأنه اذ أصبح الاسلام الذى هو مقتضى الفطرة البشرية هو دين القلوب السليمة والعقول القويمة وان صدف العناد أمما عن الاعتراف به وانتحاله فانهم جميعاً آخذون بتعاليمه مطمئنون لأحكامه وحكمه ولكنها الرهبة من بعض ما يكرهون قد دفعتهم عن الجهر بالاخذ به والتجمل بانتحاله

أما المسلمون فحق عليهم أن يعتصموا بحباله ويتفاخروا بما يتحلون به من آيات جماله فلا عجب اذا رأيناهم اليوم يحتفلون بهذه الليلة المباركة التى أعمى الله فيها أعين المشركين عن رسوله الامين فنجى الله بنجاته هذا الدين الحنيف الذى يدين به اليوم نحو أربعمائة مليون من الانسان

ومما يجمل بالذكر أن تلاميذ المدارس الاميرية بمصر هم الذين نبهوا الأول

مرة الحكومة منذ عامين الى وجوب اقامة الاحتفال بهذا العيد الكبير. وهذه ثالث مرة أقيمت فيها هذه الشعيرة الاسلامية فى الديار المصرية

ولقد أخذ الشعراء المفوهون يتنافسون فى تقصيد القصائد ليحلوا بأياتها العامرة الاحتفالات هذا الموسم المبارك فمن أجود ما وضع فى ذلك قصيدة ذلك الاستاذ الكاتب القدير المعروف بكتاباته الادبية الكثيرة وهو الشيخ طه حسين وسنعقبها بقصيدتين غراوين احداهما للشاعر الطائر الصيت أحمد افندى نسيم والاخرى للشاعر الكبير والكاتب الشهير خليل افندى مطران .

كن أنت بعد أخيك خير هلال ... وأضئ لمصر سبيل الاستقلال
وابسم بها بعد العبوس فربما ... صنع ابتسامك بالرجاء البالي
كن أنت ميمون المطالع مرسلا ... للنيل بالاسعاد والاقبال
أشرق وحدث مصر عن آمالها ... ماذا صنعت بهذه الآمال
أمصدق فيك الظنون وناظر ... للنيل نظرة مانح وصال
ومبدد عن مصر بعض همومها ... فلقد أضر بها أخوك الخالى
أغرى الخطوب بها وأمطر أهلها ... من ريهن بوابل هطال
ما بين آونة تمر وأختها ... هول يحيق بهم من الأهوال
عسف تنوء به النفوس وشدة ... سوأى العواقب جمة الإمهال
ماذا أقص عليك من آلامنا ... هيهات هل يسع الشكاة مقالى
ان الشكاة بمصر جرم مهلك ... والنقد مصدر محنة ونكال
من يشك أو يرفع بذلك صوته ... فهو المهيج والسفيه الغالى
أخذوا على الصحف الطريق وأرهقوا ... كتابها بالضيم والاذلال
وعدا على التمثيل من غلوائهم ... عاد فآذن ظله بزوال
نقموا من التمثيل نطق ممثل ... فيه بلفظة (كامل) وكمال
فاهتاج هائجهم عليه وأغلقوا ... أبوابه من غير ما امهال
سل ان أردت النيل عن آلامنا ... تسمع لديه جواب كل سؤال
وانظر خولى لو بدا لك معشر ... ترمى الىّ لحاظهم بنبال
يتلمسون بكل بيت هفوة ... ويؤولون برأيهم أقوالى
انى لأكتمك الحديث تحفظاً ... وأرى السكوت على الاذى أولى لى
فلقد تكون «قصيدتى» كوسيلة ... بيني وبين السجن والاغلال

هلا سألت اخاك فيم نفوره ... منا وفيم جفاؤه المتوالى
وعلا مَ خص الشرق من ارزائه ... بالجائحات وفادح الاثقال
فى البرتغال له يد مذكورة ... وله بأرض الفرس اسوأ فال
أشلي كلاب الظالمين عليهم ... فغدوا نهاب خديعة وضلال
ما زال بالاسلام يعرك أهله ... وبلاده عرك الرحى بثفال
حتى لقد أمسى بسوء مصيره ... لهو الحديث ومضرب الامثال
مالى وما للبدر أطلب رده ... بل ما لأفلاك السماء وما لى
منا بليتنا وفينا برؤها ... لولا اختلاف الرأى والاميال
ان السعادة بالوفاق رهينة ... لا يخدعنكم بريق الآل
نرجو الرقي وكيف ترقى أمة ... سلكت سبيل التيه والاضلال
عبثت بحق الامهات وأغفلت ... أمر الامومة ايما اغفال
لم تربهن فكن مصدر شقوة ... فيها وداء للبنين عُضَال
ساد الذين عنوا بأمر نسائهم ... وسموا بهن الى مكان عال
أنى تكون الصالحات لأمة ... رغب الغني بها عن الافضال
يجبي بيمناه النضار ولم يكد ... حتى يجود على الخنى بشمال
يمسى ويصبح فى النعيم وقومه ... لم يظفروا من بحره ببلال
فالجهل منتشر تعيث شروره ... فينا وتفتك فتكة الاغوال
فى كل آونة تمد حبالة ... فتصيد صرعى الفقر والاعمال
ما بين بائسة تقسم ضعفها ... نفس مفرقة وجيب خال
فاسترسلت فى المنكرات وحللت ... من نفسها ما لم يكن بحلال
وذوى عيال مرملين غلابهم ... جهل وأعياهم طلاب المال

فاستفتحوا باب الشرور وأرقلوا ... نحو المآثم أيما ارقال
لا دَرَّ دَرُّ المال ان لم يدخر ... لبناء مكرمة وحسن فعال
لا دَرَّ دَرُّ المال ان لم يدخر ... الا لذات الطوق والخلخال
لا دَرَّ دَرُّ المال ان لم يدخر ... الا لنيل مراتب الاجلال
ماذا يفيد وسام صاحبنا اذا ... سبقت الى الحسني يد الجمال
أيجود تلميذ بدرهم يومه ... عن طيب نفس غير ذات ملال
ويجود مضطر بقوت عياله ... جذلان لا يصغى الى العذال
والأغنياء على الملاهي عكّف ... صرعى الملاحظ والهوى الختال
انى لأخشى أن تصير أمورنا ... ان دام بخلهم لأسوأ حال
شبان مصر لكم ازف تحيتي ... والى حميتكم أسوق مقالى
ياويح مصر من الزمان وصرفه ... ان لم تهموا همة الأبطال
أحيوا العلوم فلا حياة لأمة ... ألقت أزمتها الى الجهال
رقوا النساء فلا حياة لأمة ... أمر النساء بها الى الاهمال
كونوا لمصر كما تؤمل فيكم ... ذخر الزمان وبهجة الآمال
أزهار نهضتها وأنجم سعدها ... وجمالها المزرى بكل جمال
الرافعين منار مصر ومجدها ... والحافضين عدوها المتعالى
والقائمين لها على رغم العدى ... بالمكرمات وصالح الأعمال
والفازعين لمصر اذ تدعوهم ... فى غير ما وره ولا اجفال
لا زال جيلكم لمصر بهاءها ... وعلاءها الباقى على الأجيال

قصيدة نسيم

فى رأس السنة الهجرية ١٣٢٩

تجلى العام فاستجلوا الهلالا ... فانى شمته للسعد فالا
سأطريه متى عزت بلادي ... وقدرزقت كما رزق الكمالا
وأمدحه متى قمنا بمصر ... وارجعنا لها ذاك الجلالا
فأما والبلاد وساكنوها ... يزيد الدهر حالتهم نكالا
فلست بناظم فيه قريضا ... ولا أنا قائل فيه مقالا
الام نطالب الاعوام خيرا ... ولم تنعم لنا الاعوام بالا
تمر وتنقضى منها ليال ... بأرزاء الزمان غدت حبالى
وتلك ممالك الاسلام كادت ... صروف الدهر تخبلها خبالا
فلست أخصها بالذكر عنا ... ونحن من البلاء أشدحالا

* * *

ايا عاما تقضى بئس سهم ... رميت به الغواني والرجالا
فقالوا هل صروف العام كانت ... نزاعا قلت بل كانت نزالا
هموم لو رشقت بها فؤادا ... لكانت فى جوانبه نبالا
لقد حملتنا للضيم عبأ ... ثقيلا لا نطيق له احتمالا
وقد أجريت دمع القوم حتى ... كأنا كلنا قوم ثكالى
ولولا ذكر أحمد كل عام ... لما صغنا لك السحر الحلالا
نبى بالصحابة عز شأوا ... فنال النيرات على وطالا

أولئك فرقة لم تأل جهدا ... اذا صالوا بجانبه وصالا
سلوهم كيف كانوا فى الرزايا ... اذا ثقلت بوطئتها جبالا
مضى بهم النبى بكل فج ... فلم يترك لغيرهم مجالا
وكان الوحي يهديهم بآى ... تحاكى التبر والذهب المسالا
هم رقوا البلاد وحضروها ... وهم سنوا المروءة والنوالا
وهم ساسوا الشعوب فأكسبوها ... من العرب المحامد والخلالا
فما راموا بغزوهم اعتسافا ... ولا طلبوا بفتحهم اغتيالا
ولكن انقذوا أمماً حيارى ... تذوق العسف أدهاراً طوالا
وكانوا كلما ساسوا اناسا ... شفوا من حالهم داء عضالا
وحطوا عنهم فى كل خطب ... حمولا فوق غاربهم ثقالا
وهم فرضوا العفاف وأيدوه ... كما فرضوا البراقع والحجالا
فكانت كل غانية خلوب ... اذا مرت بهم مرت خيالا
وكانوا أعدل الدنيا ملوكا ... وأوفر أهلها جاهاً ومالا
وأكبر اهلها عقلا وفضلا ... وانجب خلقها عماً وخالا
وأفخرهم بأصل لا يدانى ... وأعلاهم بمجد لا يعالى
وأثبتهم لدى الغزوات قلبا ... وأسبغ فى محامدهم ظلالا
اذا الملهوف ناداهم تمشوا ... اليه فى سوابغهم عجالا
ولولا العرب مارقت حواشى ... بلاد النيل أو زادت جمالا
يعيبهم ولا يدرى جهول ... يروم لشمس سؤددهم زوالا
دعوه يذوب من غيظ فقيه ... سعير الحقد يشتعل اشتعالا

كفانا أمة الأعراب فخرا ... بانا أشرف الثقلين آلا
أرى اجدادنا منهم فتيهوا ... بهذا الفخر واختالوا اختيالا

* * *

سلوا عمر اعن الفسطاط يوما ... يجبكم كيف ذاك الظلم دالا
وكيف أقام شرع الله فيها ... كما ساوى الاسافل والقلالا
فبات الذئب لا تخشاه شاة ... وبات الليث يصطحب الغزالا
فضائل يوم نحصيها كأنا ... نعد النجم أو نحصى الرمالا

* * *

أرى فرقا قد افترقت بمصر ... ورامت عن أواصرها انفصالا
أناس أخلصوا من بعد زيغ ... وتابوا بعد أن الفوا الضلالا
وأقوام قد ارتدوا جهاراً ... فساؤا فى عواقبهم مآلا
وقال الناكصون كفى غلوا ... والا ذقتم منه الوبالا
خلائق فى المكارم لم يعدوا ... يمينا للفعال ولا شمالا
أولئك عصبة بالخزى باؤوا ... فسموا الخزى والجبن اعتدالا

* * *

أنابتة البلاد وخير نشىء ... غدوا للنشىء بعدهم مثالا
عليكم بالاخاء ولا تفكوا ... عرى القربى فتنخذلوا انخذالا
سيندب حظه الوطن المفدى ... اذا لم تحسنوا عنه النضالا
خدوا فى علومكم صغاراً ... ولا تشكوا السآمة والكلالا
فمن رام الكواكب والدرارى ... بلا علم فقد رام المحالا
وان صرتم رجال النيل يوما ... فلا تنسوا بركم القتالا

وذودوا عنه ما استطعتم برأى ... حصيف واجعلوا الحسنى جدالا
وكونوا الاجانب خير عون ... تزيدوا عروة الود اتصالا
اذا عشتم واياهم بخير ... محوتم عنكم قيلا وقالا
ولم يزل الرئيس لكم كفيلا ... على رغم الخطوب ولن يزالا
لقد أوجزت خيفة أن يقولوا ... نسيم فى قصيدته تغالى

احمد نسيم

قصيدة خليل مطران

فى عيد رأس السنة الهجرية

(قال حضرة الشاعر الكبير والكاتب الشهير خليل أفندى مطران هذه القصيدة الفريدة)
(يحيى بها عيد رأس السنة الهجرية يلم فيها باثارة من تاريخها ساطع ويذكر حكمتها)
(وقد أودعها من غوالى النصح ما يزيد القراء : قال —)

هل الهلال خيوا طالع العيد ... حيوا البشير بتحقيق المواعيد
ياحرف شك ستلقانا على ثقة ... وقد عقدنا المنى فى نون توكيد
كأن حسنك هذا وهو رائعنا ... حسن لبكر من الاقمار مولود
لله فى الخلق آيات وأعجبها ... تجديد روعتها فى كل تجديد

* * *

فتيان مصر وما أدعو بدعوتكم ... سوى مجيبين أحرار مناجيد
سوى الاهلة من علم ومن أدب ... مؤملين لفضل غير مجحود
المستسر شعار المقتدين به ... العاملين بمغزى منه مقصود
فى العين رمز لميقات يحد به ... وفى النهى رمز جد غير محدود

ما زال من مبدإ الدنيا ينبئنا ... ان التمام بمساة ومجهود
فان تسيروا الى الغايات سيرته ... الي الكمال فقد فزتم بمنشود

* * *

اليوم عيد به معنى السرور لكم ... ولم يكن بدؤه يوما لتعييد
رسالة الله لا تنهى بلا نصب ... يشقى الامين وتغريب وتنكيد
رسالة الله لو حلت على جبل ... لاندك منها وأضحى بطن أخدود
ولو تحملها بحر لشب لظى ... وجف وانهال فيه كل جلمود
فليس بدعا اذا ناء الصفى بها ... وبات فى ألم منها وتسهيد
ينوى الترحل عن أهل وعن وطن ... جارا عليه بقلب منه مكمود
يكاد يمكث لولا ان تداركه ... أمر الاله لامر منه موعود

* * *

فاذغلا القوم فى ايذائه خطلا ... وشردوا تابعيه كل تشريد
دعا الوالين ازماعا لهجرته ... فلم يجبه سوي الرهط الصناديد
مضى هو البدء والصديق يصحبه ... يغامر الحزن فى قفراء صيخود
مواليا وجهه شطر المدينة فى ... ليل أغرّ على الادهار مشهود
حتى اذا اتخذ الغار الامين حمى ... ونام بين صفاء قوم مجهود
حنا عليه فما مثواه منا سوى ... مثوى الجنين من البكرية الرود
يا للعقيدة والصديق فى سهر ... تؤذيه أفعى ويبكى غير منجود
ان العقيدة ان صحت وزلزلها ... مفنى القرى فهى حصن غير مهدود
أما الذين بقوا من صحبه فتلوا ... سارين فى كل مسرى غير مرصود
ماجند قيصر أو كسرى اذا افتخروا ... كهؤلاء الاعزاء المطاريد

كأنهم فى الدجى والنجم شاهدهم ... فرسان رؤيا لشأن غير معهود
فى حيطة الله ما شعت أسنتهم ... فوق الظلال على المهرية القود

* * *

عانى محمد ما عاني بهجرته ... لمأرب فى سبيل الله محمود
وكم غزاة وكم حرب تحشمها ... حتى يعود بتمكين وتأييد
كذا الحياة جهاد والجهاد على ... قدر الحياة ومن فادى بها فودى
أدنى الكفاح كفاح المرء عن سفه ... للاحتفاظ بعمر رهن تحديد
وضلّ زاعم سوء لا اضطلاع له ... فالمجد اذ نال من يخلق فقد عودى
ليغنم القيش طلقا كل مقتحم ... وليبغ فى الارض شقا كل رعد
ومن عدا الاجل المحتوم مطلبه ... عدا الفناء بذكر غير ملحود

* * *

لقد علمتم وما مثلي ينبئكم ... نكن صوتى فيكم صوت ترديد
ما أنتجت هجرة الهادى لأمته ... من صالحات أعدتها لتخليد
وسودتها على الدنيا بأجمعها ... طوال ما خلقت فيها بتسويد
بدا وللشرك أشياع توطده ... فى كل مسرح باد كل توطيد
والجاهليون لا يرضون خالقهم ... الا كعبد لهم فى شكل معبود
موألهون عليهم من صنائعهم ... بعض المعادن أو بعض الجلاميد
مستكبرون اباة الضيم غر جحى ... ثقال بطش لدان كالاماليد
لا ينزل الرأى منهم فى تمرقهم ... الا منازل تشتيت وتبديد
ولا يضم دعاء من أوابدهم ... الا كما صيح فى عفر أبابيد
ولا يطيقون حكماً غير ما عقدوا ... لذى لواء على الاهواء معقود

بأى حلم مبيد الجهل مرهقه ... وأى عزم مذل القادة الصبد
أعاد ذاك الفتي الأمى أمته ... شملا جميعا من الغر الاماجيد
لتلك تاليـة الفرقان فى عجب ... بل آية الحق اذ يبغى بتأكيد
صعبان راضهما توحيد معشرهم ... وأخذهم بعد اشراك بتوحيد
وزاد فى الارض تمهيداً لدعوته ... بعهده للمسيحيين والهود
وبدئه الحكم بالشورى يتم به ... ماشاءه الله عن عدل وعن جود
هوا هو الحق الاجماع أيده ... فمن يفنده أولى بتفنيد
أى مسلمى مصر دين الجد دينكم ... وبئس ما قيل شعب غير مجدود
طال التقاعس والاعوام عاجلة ... والعام ليس اذا ولى بمردود
هبوا الى عمل يجدى البلاد فما ... يفيدها قائل ياأمتى سودى
سعياً وحزما فود العدل ودكم ... وان رأى العدل قوم غير مودود
لا تغبوا لا تملوا ان ظمأتكم ... الى غدير من الاقوام مورود
تعلموا كل علم وانبغوا وخذوا ... بكل خلق نبيه أخذ تشديد
فكوا العقول من التصفيد تنطلقوا ... وما تبالون أقداما بتصفيد
مصر الفؤاد فان تبغوا سلامتها ... فالشرق ليث وقد صحت بمفؤود
الشرق نصف من الدنيا بلا عمل ... سوى المتاع بما يضني وما يودى
الغرب يرقى وما بالشرق من هِمم ... سوى التفات الى الماضى وتعديد
تشكو الحضارة من جسم أشل به ... شطر يعد وشطر غير معدود

* * *

أبناء مصر عليكم واجب جلل ... لبعث مجد قديم العهد مفقود
فايرجع الشرق مرفوع المقام بكم ... ولتزه مصر بكم مرفوعة الجيد

ما أجمل الدهر اذ يأتى وأربعنا ... حقيقة الفعل والذكرى بتمجيد
والشرق والغرب معوانان قد خلصوا ... من حاسد كائد كيداً لمحسود
صنوان بران فى علم وفي عمل ... حران من كل تقييد وتعييد
لا فعل يخطئ فيه الخير بعضهما ... الا تداركه الثانى بتسديد
ولا خصومة الا فى استباقهما ... لما يعم بنفع كل موجود

* * *

هذى الثمار التي يرجوا الانام لها ... من روضكم كل نام ناضر العود
لمصر والشرق بل للخافقين معاً ... دع زعم كل عدو الحق مريد
جوزوا على بركات الله غامكم ... فقد تبدل منحوس بمسعود
رجاؤكم أبداً ملء النفوس فما ... ينفي بحسنى ولا يوهى بتهديد
بدا الفلاح وفى هذا الهلال لكم ... بشرى التمام لوقت غير ممدود
غدا ترى البدر فى طرس السماء محا ... بخاتم النور زلات الدجى السود

كيف تربي البنت تربية صحيحة

باسمك اللهم ابدأ هذه الحياة الجديدة. حياة خدمة الامة التى هى فرض على كل فرد من أبنائها . وبعونك أفتتح ذلك الدور الجديد من أدوار حياتى دور اهداء الامة شيئاً مما حصلت عليه فى حياتى الدراسية التى قضيت فيها نحو ست عشرة سنة منكباً على الدرس متجولا فى سطور الاطراس متنقلا من معهد علمى الى آخر ومن مملكة الى أخرى لا أمل الحسنة ولا رجاء لى سوى الحصول على شيء من العلم الصحيح واكتساب بعض الاخلاق والعادات التى تمكننى من ان أكون عضواً عاملا بين أعضاء هذه الامة المخلصين . وهأنذا قد خصصت جزءاً من وقتى والله يعلم انه أضيق من عيش الاديب لأكتب فيه نبذاً فى الاخلاق والتربية والاحوال الاجتماعية معتمداً فى ذلك على التجارب والمعاشرة فهما خير مرشد فى هذا الباب وأصدق مصدر لاصوله وفروعه . وبالله المعونة وهو ولى التوفيق

هـذا ولقد أردت بكتابة موضوع فى الاخلاق لولا أن سألنى ذو فضل أدبى علىّ (وما أقلهم عدداً فى مصرنا) ان أضع برنامجاً لتربية البنت التربية الابتدائية فلبيت طلبه بكل سرور وارتياح . الا أن لى كلمة فيمن هي تلك البنت التى نريد وضع برنامج لها وما هي وظيفتها فى هذه الحياة ودائرة اختصاصها وما هو مركزها الاجتماعى

(١) أما البنت التى نريد تربيتها فهى تلك البنت المصرية التى أدى بها سوء الحال الى استنكارها وهضم حقوقها واحجام اخوتها المصريين عن الاقتران بها والاعتماد عليها فى الاحوال المعيشية

(٢) وأما وظيفتها فهى وظيفة الأم الرشيدة التى تقوم بها فى كل الامم الراقية وهذه بديهية لا حاجة بنا الى ايضاحها فى هذا المقام

(٣) وأما دائرة اختصاصها فهى المنزل ومصادر حاجياته من الحوانيت وما ماثلها

(٤) وأما مركزها الاجتماعى فهو أنها مديرة لمستعمرة صغيرة هى المنزل ورئيسة لجمهورية بسيطة هى ذريتها

اذا كان الأمر كذلك وجدنا أنه كما يشغل الرجل يومه بعمل كثير الصعوبات أو قليلها بنسبة مركزه فى هـذه الحياة وجب أن تشغل المرأة يومها كذلك بأعداد لوازم بيتها وزوجها وصبيتها

كلنا يعلم أن المرأة شريكة الرجل فى الحياة ولكل منهما وظيفة مخصوصة أوجدتها وحتمتها نواميس طبيعية لا مناص من اتباعها والسير على اقتضائها أهمها أن المرأة أم يجب عليها أولا وقبل كل شيء أن تعرف كيف تسوس منزلها وتراقب خدامها وتربي أولادها وتقوم بواجبات زوجها كما أن الرجل يجب عليه أن يكد ويجتهد فى الحصول على ما يلزم لزوجه وولده من الحاجيات أولا والكماليات اذا استطاع الى ذلك سبيلا اذ ليس الغرض من تربية البنت أن تكون فيلسوفة أو مهندسة أو شاعرة أو الخ اللهم الا عدد قليل منهن يخصص لان يكون من المعلمات والممرضات والطبيبات وهؤلاء لهن مميزات طبيعية تبدوا دلائلها من الصغر بل الغرض كما تقدم أن تكون مدبرة لمنزلها ومربية لصبيتها ولا يتسنى لها ذلك الا بعلمها بقوانين تدبير ذلك المنزل ونواميس تربية هؤلاء الصبية قد ضل كثير ممن وضعوا برامج

مدارس البنات فى بلادنا عن الغرض المقصود وضالة الأمة المنشودة فتركوا كل ما البنت فى حاجة اليه من العلم بالطبخ والخياطة وأمور التدبير المنزلية والقوانين الصحية الى غير ذلك مما سنذكره بعد أو شحنوها باشياء ناقصة لا تخرج البنت منها على شئ سوى العزة التى مصدرها الجهل والغطرسة والترفع على زوجها وذويها ظناً منها أنها بما أصبحت الكل فى الكل وانها أرفع من أن تمهد منزلا أو تخدم زوجا أو ترضع طفلا أو تقوم معوجا — وحقاً ان قليل العلم خطر . انما نسمعه صباح مساء من أخبار ما يقال عنهن فى بلادنا متعلمات لما يحزننا قطوراً نسمع أن احداهن طلبت الفراق من زوجها لانه عجز عن استحضار سميرة لها أو مربية لولدها ولا أريد ايراد أكثر من ذلك اذ أن هذا الحال غير محتاج الى برهان وكفي باضراب شباننا المصريين المرين عن التزوج بالمصريات المتعلمات ذلك التعليم برهاناً محسوساعلى ذلك . يريد هؤلاء الشبان وخصوصاً من تربى منهم فى الممالك الاجنبية التزوج بأجنبية ذلك لما يراه فى بلادهم من حسن ترتيب المنازل وعلو تربية الصبية وقيام ربات المنازل بوظائفهن خير قيام ولكن خير له أن يجهد نفسه فى اختيار من تصلح زوجة له من بنات جنسه ويعلم أنه فى دور جهاد فى تربية البنت لا فى دور ترف وتنعم ويسعى فى اصلاح حال أخته فى وطنيته ولغته ودينه وجنسيته ولا غرو أن هذا أنفع من أن يتزوج بأجنبية غره ظاهرها وهو فى بلادها ولم يفكر فيما سيؤول اليه أمرها حينما تأتى مصرنا وتشاهد ما فيها وكاكم أعلم بمن فيها وما فيها انى أرى وهذا رأى كثير من المجربين العقلاء أن البنت الجاهلة فى بلادنا (أى التى لم تترق للمدارس بابا) خير من التى تعلمت ذلك التعليم الناقص لان الاولى قادرة بكل أعمال منزلها من طبخ وترتيب ونظافة كما أنها قادرة على كل أعمال الخياطة والتطريز وتعهد ملابس زوجها زد على ذلك تعظيمها لزوجها ووضعها له فى مركزه الحقيق وقبولها النصيحه هذا مشاهد بالعيان غير انها عاجزة عن مشاركته في افكاره ومناقشته فى اطواله المعاشية وتدبير ثروته الا أننا نري المصرية المتعلمة أتعس حالا من أختها فى ذلك الشطر الاخير لخلوها من التجارب فى هذا الباب التى ربما حصلت عليها الاولى

هذا ما مهد لى طريق وضع البرنامج الآتى

ينقسم التعليم فى ذلك الدور الاولى الى قسمين نظرى وعملي — أما النظرى فهذا برنامجه

(١) القراءة والكتابة بدرجة تتمكن البنت معها على فهم الكتب العلمية السهلة مع حسن النطق وجودة التعبير — أما الكتابة فيجب أن يصل بها الى درجة تمكنها من القدرة على كتابة الاشياء الضرورية التى يناط بها عملها فى مستقبل أمرها

(٢) القواعد الدينية — بمعنى أن تكون التربية الدينية هى الاساس الذى تبنى عليه تربية البنات فتعلم البنت أحوال الدين وآدابه وليكن ذلك معززاً بحفظ شئ من آى القرآن المتضمنة لتلك الاحوال والمشتملة على مكارم الاخلاق وجميع العادات وتعلم كل بنت أصول دينها الذى تدين به سواء كان الاسلامى أو المسيحى الخ

(٣) مبادئ العلوم الكونية مثل الجغرافيا والتاريخ ويقتصر فى ذلك على القدر الضرورى جداً فتعرف من الجغرافيا مثلا شكل الارض وأقسامها وما فيها من الدول والممالك بطريقة اجمالية وكيفية تكوين البحار والانهار

والبحيرات والفرق بينهما وليكن ذلك بطريقة سهلة تطبيقية (بأن يخرجن ويشاهدن تلك الاشياء بأنفسهن تحت ارشاد من يتول تعليمهن كما هو متبع في الامم الراقية وكما هى القاعدة البيداجوجية) أما التاريخ فيتعلمن منه سيرة النبي الذي يعتنق دينه ثم سير أعاظم الرجال فى كل عصر وكذلك الحوادث العظيمة . وليكن ذلك كله بطريقة مشوقة وأحسن الطرق لذلك أن تلقى هذه الاشياء بصورة حكايات بسيطة

(٤) الحساب وأهم شئ من ذلك القواعد الاربع البسيطة

(٥) علم وظائف الاعضاء

يجب أن تكون العناية بذلك عظيمة جداً لأن الجهل به هو منشأ الاضرار الكثيرة التى نشاهد نتائجها السيئة فى أفراد العيلات وخصوصاً الفقيرات من اصابتهم بالامراض الفاتكة والآفات القاتلة . وهاك ما يجب من هذا العلم : (١) حالة تركيب الجسم علي العموم . قانون الهضم والجهاز الهاضمى (حتى لا تملأ الامهات بطون الاطفال بما يجعل شكل الطفل مكعباً فلا يدري عرضه من طوله) الاسنان ووظائفها — الفم واللسان والغدد اللعابية — المعدة (٢) الدورة الدموية وقوانينها وطرق اصلاح الدم ـ العمود الفقرى ـ العظم . والمواد المرنة ـ المفاصل ووظائفها ـ القلب وتركيبه وخروج الدم منه وعودته اليه ـ الرئتين ووظيفتهما ـ قانون التنفس الشهيق والزفير

قوانين الصحة العامة

(١) الغذاء وأنواعه وخواصها . أجزاء الطعام — الغذاء اللبنى وخواصه الطبيعية — المواد الآزتية — المادة الدهنية — السكرية البشرية

(٢) الاملاح والاحماض الخضراوية والطبيعية — الماء وتركيبه واستعماله وهضمه

(٣) تحويل الطعام بالحرارة والعمل الى دم والى مواد أخرى لا تستقر فى الجسم . الحرارة الحيوانية . تكوينها وفقدها

(٤) الامراض التي يمكن التحوط منها والتى لا يمكن . أسباب الامراض الطفيلية وتأثيرها فى جسم الانسان . كيفية تولد الامراض من الجراثيم ومقارنة الجسم بها

(٥) الهواء . ضرورته . عدم تنقية الهواء ووجود المواد الاجنبية فيه والامراض التى تنشأ عن ذلك . موارد هذه المواد الاجنبية . تنقية الجو المحيق بالانسان . درجات تنقية الهواء

(٦) الماء . تركيب الماء وعدم خلوه من المواد الاجنبية . فوائد الماء صفاته وخواص مياه الشرب . الماء بقسميه (١) سهل الهظم (٢) عسر الهظم الامراض التى تنتج من المياه غير النقية . طرق تنقية الماء والى هنا انتهى القسم النظرى

القسم العملى — التدبير المنزلى

(١) تجهيز الاطعمه . الطبخ . نسب اجزاء الطعام المختلفه . درس انواع الطعام المختلفه

(٢) لحوم الحيوانات ومعرفة الغث والثمين منها وما يترتب علي كلا النوعين من المنافع والمضار ـ الخضروات المستعملة فى الغذاء وما يوافق منها لكل فصل من فصول السنة المختلفة . ترتيب الغذاء وانتخابه حسب الظروف مع معرفة تأثير كل نوع فى جسم الانسان

(٣) طعام الاطفال . التغذية باللحوم والخضراوات . حفظ الاطعمة لمدة معلومة مع معرفة التحوطات اللازمة لذلك

(٤) الامراض التى تنشأ من بعض الاطعمة ومن المشروبات اذا لم يراع قانون الصحة مثل الشاى والقهوة والكوكو والمشروبات الروحيه والتدخين

(٥) الملابس ومعرفة المواد المختلفه المستعملة فيها . الخياطة . التطريز . تفصيل الملابس وما يلزم للمنزل من انواع المخيطات

(٦) غسل الملبوسات بأنواعها . الاقمشة . الاصواف الخ . كي الملابس وترتيبها . ملابس الرجال . ملابس النساء . ملابس الاطفال مع معرفة غسل كل نوع ومقدار ما يستعمل منه . الملابس الليلية أى ملابس النوم . الملابس المناسبة لكل فصل من فصول السنة وترتيبها بعد الغسل وقبله

قوانين الصحة الخاصة بالمنزل

(١) موقع المنزل وترتيبه . حسن ترتيب مشتملات المنزل

(٢) الاساسات المنزلية من فرش وأدوات الطبخ الخ

(٣) تجديد الهواء . الكمية المحتاج اليها من الهواء الجديد النقى . الغرض من تجديد الهواء الوسائل الطبيعية لتجديد الهواء بواسطة النوافذ وما شاكلها . وسائل الاهوية الصناعية مثل المراوح الكهربائية والهواء المضغوط وغيره

(٤) وسائل التدفئة . وهذه فى بلادنا نقطة تستعمل عند اللزوم مع اجتناب الطرق الضارة المستعملة فى الارياف (الافران فى حجر النوم)

(١) الضوء وموارده بالمنزل . الضوء الطبيعى . الصناعى

(٦) الماء وموارده بالمنزل . مجارى المياه والتحفظ من ضيقها لما يترتب على ذلك من الرطوبة والقذارة

(٧) النظافة اليومية للمنزل . تنظيف حجرة النوم . حجرة العمل الكتابى ونحوه . تنظيف المطبخ وتعهده وتنظيف آنيته . تنظيف الاشياء المنزلية على العموم . المراحيض . العناية التامة بنظافتها وتجديد هوائها

قوانين الصحة الشخصية

(١) النظافة الشخصية على العموم — نظافة البشرة — وظيفة الماء الحار والصابون الحمامات الحاره والبارده ومتى يجب استعمال كل منهما

(٢) نظافة الشعر — الاسنان — الاظافر — العين وحمام العين — الانف والاذن وطرق تنظيفهما ونحو ذلك (والفت النظر هنا على الخصوص لنهى ما يشاهد من تنظيف الانف فى الطريق أو المجتمعات فان هذا مأخوذ علناجد)

(٣) يجب أن تتبع في تنظيف الاعضاء المتقدمه الطريقه الطبيه وترك ما يستعمله الجهلاء من المواد السامة التي قضت على كثير من الاطفال

الاسعافات الوقتيه

(١) التمريض وتعهد المرض — الاغماء وكيفية تعهده — الدوران وطرق علاجه داء النقطه — التشنج العصبي — التسمم بالاحماض — الكهل — والافيون والتحذير بالمحذرات الاخرى

(٢) المواد الاجنبية فى العين وكيفية التقاطها وكذا فى الانف والاذن

(٣) النزيف من الانف . الرئتين المعده . الجروح وطرق ربطها . الحرق والقيام بما يلزم له . الرضوض والمصادمات ومقاومة ضررها

(٤) حالة الحمي وما يلزم لها . السعال . الدفتيريا

(٥) التحوطات اللازمه حين وجود الحمي بالمنزل وتطهير المنزل بعد ذهابها

(٦) التمريض وكيفية حمل الشخص المريض واعطاء الدواء لذوى العلل (الفت النظر هنا الى الممرضات الانجليزيات حين تقديم الدواء والغذاء للمرضى تدخل الواحدة منهن

باسمة الثغر . هادئة السير مظهرة اللطف والعطف باحسن مظاهرهما . لاشك أن هذا ما يهون على المريض حاله ويشرح صدره ويعظم أمله فى الشفاء)

هذا ويجب تعليم فن التمريض فى آخر سنة من سنى المدرسه وهاك نموذجا مما يجب أن تتعلمه البنت من الاسعافات الوقتيه المتقدمة وطرق التمريض . مثلا تعلم انها اذا رأت نسانا تعلقت النار بثيابه فاحسن ما تفعله أن تبادر الي ملاءة ونحوها وتلفه بها كي ينقطع التهاب النار وانقطاع الهواء بدون أن تسبب له أذي . هذا ما يعمل لاطفاء النار و هاك طريقة تعهده واسعافه

تنزع ثياب المصاب بكل هدو واعتناء حتي لا ينتزع شيء من الجلد معها ثم يلف جسمه ولا سيما الجزء المحروق بثياب نقية خفيفة ناعمه لمنع الهواء عن الجلد . ثم يوضع قليل من محلول البوريك أو ماء الورد فى ماء حار ويوضع فيه العضو المحروق أو يغسل باعتناء ثم يجفف بخرقة من الشاش الناعم أو القطن المندوق ثم تغمس خرقة بقليل من زيت الزيتون النقى ويضمد بها الجرح ثم توضع فوقها خرقة شافة وتربط حتي يحضر الطبيب

وهاك مثالا آخر لتعهد المصرف أو المنقوط واسعافه

أن علامة المصاب بالتشنج هي تحركه بشدة حركات غير ارادية وهذه تسمى تشنجا ويصيح صيحة قوية ويجمع اصابعه فوق ابهاميه وتجتمع الرغوة على فمه ويضرب بيديه ورأسه وسائر جسمه كما أنه يعض لسانه بشدة وأول ما يجب عمله أن يمنع ذلك المسكين من الحاق الضرر بنفسه فيلقي على ظهره وتوضع فلينة أو منديل بين اسنانه حتى لا يعض لسانه وتحل عري قميصه وطوقه ويمنع من الاصطدام بالاشياء التي حوله ثم تلاحظ مدة النوبة التي تنشأ به ويخبر الطبيب بذلك

هذا أيها الراغبون فى تربية البنت مابدالي وكل حر فى رأيه ولقد شاهدت بعيني حاجة المرأة الشديدة الى ذلك لاني أعرف أكثر من واحد أصيبوا بالتشنج العصبي فما كان من بعض الزوجات الا أن ظن أن على زوجها عفريتا وأحضرت الزار وعدته وعدده ولما لم ينجح فى ذلك استبدلت هذا باستحضار محضري العفاريت وما يعرفون باولاد الطريق بالفقراء . وأخذ هذا الجمع يذكر وينشد ليسعف المريض وما زاد ذلك الاخبلا فى عقله وتشنجا فى عصبه ورزءا علي رزئه وما فعلت ذلك الا عن جهل بناتنا فاتقوا الله فى هذا الجنس الضعيف اللطيف

الاجتماعي

الهلال والصليب

﴿ لمؤلفه ﴾

(الكاتب العثماني الحر الكبير)

خليل خالد افندي

استاذ اللغة التركية في جامعة كمبردج

الحائز لشهادة الحقوق من الاستانة

وشهادة الاستاذية الشرفية فى العلوم من جامعة كمبردج

وصاحب التآليف المشهورة في الدفاع عن الشرق والاسلام

عربه عن الانجليزية

حضرة الكاتب الفاضل ابرهيم رمزي افندي

ونظر فيه وأجازه

الشيخ عبد العزيز جاويش

منشىء مجلة الهداية

١٣٢٨ هـ طبع في مطبعة الهداية بالقاهرة ١٩١٠ م

يوسع نطاق عقل اولئك الذين يقرءونه . لا يقرؤه أحد حتى يكون أقرب الى فهم الشرق منه فيما مضى »

وكتبت مجلة « العالم الاسلامى » الفرنسية ان مؤلف خليل أفندى هو تهكم حادولكنه ملئ عظة وفائدة وكرما عظيما . انه وفى موضوعه وفصله تفصيلا . خليل أفندى بكره الخيالات والقصص ولا يعتمد الا على الشريف من الاعمال . فهو يحللها ثم يركبها ويبرزها صورة واحدة لمبحث سديد . وبذلك كان مؤلفه الهلال والصليب غاية في الابداع

« وكتبت مجلة الجمعية البلجيكية لدراسة المستعمرات »

ان هذا الكتاب يبحث عن الاسلام . مؤلفه رجل شرقى الاصل ولكن له الملم تام بكثير من لغات الغرب وله علم واسع بافكار اوربا السائدة ونحن لا يسعنا لما حوى هذا الكتاب من الفضل الا أن نلفت اليه القراء والى ما يحدو أمم الشرق جميعاً على مقاومة حكم الدول المسيحية »

هذا بعض ماقرظت به جرائد اوربا كتاب

الهلال والصليب وهو كاف فى

الدلالة على فضله

والله أعلم

م

☆(فهرس السنة الاولى من مجلة الهداية)☆

﴿ على الترتيب الابجدى ﴾

صحيفه		صحيفه	
	(ا)	٥٩٧	» » »
٣٤٢	اتباع المصطفى خلاف الأولى	٣٣٠	الاسلام فى لندن
٢٨١	الاجتهاد فى الاسلام	٤٣	الاسلام فى البلاد المسيحية
٦٦	الاحاديث الموضوعة	٦٢	اصطبح (سؤال عن كلمة)
١٤٤	» » »	٦٩٠	أصل وضع اللغة العربية
٣٤٣	» » »	٦٢	اضافة ممتنعة (سؤال)
١٢٦	الاحاديث الموضوعة (سؤال)	٦٣	اغتلي (سؤال عن كلمة)
١٢٧	الاخوة فى الرضاع (سؤال)	٢٣٨	أغلاط العرب
٦٤	إزبا إزبا (سؤال عن كلمة)	٤٣١	آفة الافيون
٧٢	أسئلة وأجوبتها (ملاحظة)	٢٣٧	أكثر الاضافات تعدداً (سؤال)
٢٣٦	استعمال عربي	١٢٠	انتشار الاسلام في أفريقية
٧	أسرار القرآن (تفسير)		(ب)
٧٣	» » »	٧٢	بدل المجلة
٢٠١	» » »	٣٤٨	البعث والنشور (سؤال)
٢٥٧	» » »	٢٤٦	بين الروسية وفارس
٣٧١	» » »		(ج)
٤٧٥	» » »		

صحيفه

٦٨١ جامعة جديدة
٦٨١ الجرائد فى آسيا الصغرى
١٢٢ جريان الشمس (سؤال)
٦٨٠ الجمعية التاريخية العثمانية
٦٧٧ الجيش الفارسى

(د)

٦٨٣ دعوه الى مسلمى الهند

(ه)

٢٥٤ هدية حافظ ابراهيم (قصيدة)
٤٢ هزيمة الرجعيين فى ايران
٢٥٤ هفوات فى الطبع (ملاحظة)
١ الهلال والصليب — ذيل
» » »
٢ » » »
٥٧ » » »
١٠٥ » » »
١٦١ » » »

(و)

٤٥٨ وصية عبدالحميد الكاتب

صحيفه

٦٠ وضعت به (تصحيح استعمال)
٤٦٣ وفد مسلمى الصين الى جلالة السلطان
٤٤ الاوقاف العثمانية

(ز)

٧٢٢ ذلات الاقلام

(ح)

٣٦٥ حالة المسلمين الاجتماعية
٣٢٣ الحالة فى فارس
٧٠٩ حجاب المرأة فى الاسلام
١٨٢ الحزب الاشتراكي
٩٤ حفظ اللغة صيانة للجنس
٦٧٨ حق التأليف
٤٤٤ حقيقة الاسلام
١٧٦ حياة روسو
٢٤٧ » » »
٥٥٥ الحياة فى الشرق
٦٨١ الحياة العسكرية
٤٠ الحيوانات

صحيفه

(ط)

٢٩٥ طبيعة الاسلام ومستقبله
٤٥٢ طرق التدريب فى النظافة والترتيب

(ك)

٢٣٥ الكافور (سؤال)
٦٥ كتابة الصحف
٥٣١ الكتابة العربية (تاريخها)
٦٠ كفاءة أم كفاية
٧٤٠ كيف تربى البنت تربية صحيحة

(ل)

٦٨٥ الالفاظ المعربة فى القرآن
٨٩ اللحن الشائع (تحرير طائفة من الالفاظ)
١٥٤ » » »
٢٢٦ » » »
٢٤١ » » »
٤٩٨ » » »
٣١ لسان العرب

صحيفه

(م)

٩٨ مآتم ومآثم
٦٩٢ الماء المعطر بالكلنيه
٦٢١ ماذا يراد بالازهر
٤٧٣ المباحث الليمنولوجية
٤٩٦ مجد مصر القديم (قصيدة)
٣٨٥ مذنب هالى والأوهام
١٣٤ مذهب دارون
٤٥ المرأة المصرية المسلمة
٥٣٩ المرأة المصرية والحجاب
٢١٦ المرأة أيضاً
٦٨٠ مرصد فى أزمير
٥٦١ مسألة المرأة المصرية
٦٧٦ المسائل الاقتصادية فى فارس
٤٣ مسجد فى بطرس برج
٢٤٠ مسلمو البوسنة والهرسك
٢٤١ مسلمو الروسية
٢٣٩ المسلمون فى بلغارية
٦٢٩ المشروع الازهرى ومدرسة القضاء الشرعى

صحيفه

٢٣٩ معرض اسلامي
٤٧٣ معرفة الاخلاق بالطعام
٦٦٠ مقاومة انتشار الجرائم
٦٩٥ منصب الرسالة
٣٧٥ منشئ المجلة بين يدى القضاء (أقوال الصحف العربية والافرنجية فى حادثته)

(ن)

١٢٨ نادى دار العلوم واللغة العربية
٣٩ النجم الجديد ذو الذنب
٣٤٩ نزول القرآن (سؤال)
٥٤٧ النسخ فى القرآن (حكمته)
٤١٩ النشوء والارتقاء
٣٣٥ نقد تفسير جزء تبارك
٣٦٠ نمو الأمة

(س)

٢٣٢ السحر وتأثيره
٣٩ سنة السيارات

(ع)

صحيفه

٥٨٣ العرب ومذهب دارون
٧٢٦ العام الهجرى
١٥٩ عظة للسكارى
١٨٤ علم النفس
٢٩٨ » » »
٣٠٣ علم الأصول
٤٦٦ » » »
٥٠١ علم الفلك (تاريخه)
٣٥٥ علموا المرأة (قصيدة)
٦٧٩ العلوم والجامعة
٤٢ عمار آذنه

(ف)

١ فاتحة المجلة
٦٨٥ فائدة الصالحات
١٩٩ الفرق بين الفرق (كتاب)

(ص)

١٣٠ الصحف العربية والهندايه (تقاريظ)
١٢٣ الصرع
٥٧٧ صناعة التأليف

صحيفه

(ق)

٣٣٣ القرآن وأسراره
٢٠ القرآن فى مشتجر الطعان
٣١٤ القضاة والنواب (صحيفه من تاريخ)
١٢١ قوة الاسلام
٧٣٢ قصيدة نسيم (فى العام الهجرى)
٧٣٥ قصيدة خليل مطران (فى العام الهجرى)

(ر)

٦٨٨ رفع عيسى الى السماء
٣٤٢ الرقي والحرية (قصيدة)

(ش)

١٦٤ الشريعة الاسلامية والشورى
١٩٤ الشعر والشعراء
١١٦ شئ عن بخارى

(ت)

٤١ تاريخ العلوم
٥١٩ التأليف فى الاسلام (سمته)

صحيفه

٦٨٥ تأثير الحسد
٢٣٧ تحرير لفظتين فى بيتين (سؤ
٦٧٦ التربية فى فارس
٣٤٧ التصديق بالغيب (سؤال)
٦١٣ التعاذير الشرعية والتعا الوضعية
٦٠ التفاشل (سؤال عن كلمة)
١٤٥ تفسير جزء تبارك
٣٨٧ » » »
٧٠١ » » »
٦٨٥ تفسير آية (ولكم فى القصاص
٦ تمهيد لأسرار القرآن
٦٩٤ تزويج البكر نفسها

(خ)

٦٥٣ خطبة وكيل الحقانية (فى مشروع الازهر)
٤٠٤ خفقان القلب
١٠٨ الخلق والاجتماع

(ذ)

وقد نال الاسلام حظوة كبرى فى بلاد الانجليز أيضا . فقد أنشئت هناك فى خلال السنين الاخيرة جمعيات كثيرة اسلامية للانجليز المهاجرين من المستعمرات الانجليزية الذين دخلوا فى الدين الاسلامى . وقد أسس هؤلاء المسلمون فى مدينتي لندن ولفربول وغيرهما عدة مساجد وجمعيات دينية ومدارس لتربية الاطفال وخطوا خطوات واسعة فى الصحافة أيضا . ومن أشهر جمعياتهم « المدنية » و « الاخوة الاسلامية » و « الهلال » و « الاتحاد الاسلامى »

وجمعية لاتحاد الاسلامي السابقة الذكر تعد مركز اتفاق المسلمين في بلاد الانجليز . وغرضها الاول نشر الدين والاخلاق والعلم فى العالم الاسلامي والسعي فى تقوية المسلمين من الوجهه الاقتصادية . وعدا ذلك فانها تقوم بالذود عن بيضة الاسلام وتحول دون انتشار الافكار والترهات التى تمس بكرامة الدين الاسلامى راجعة فى ذلك الى أعون الذرائع وأنجعها مادة يد المعونة الى المحتاجين من المسلمين

وأول من يعضد هذه الجمعية حضرة السيد محمد عبدالله المأمون وهو هندي الاصل وله أياد بيضاء في نشر الاسلام فى انجلترا وله تآليف كثيرة أشهرها (الاحاديث النبوية) و « اساس الحقوق الاسلامية » و « أصل الاعتقاد فى الاسلام » و « شكسبير وآداب الشرق » و (لا اكراه فى الدين) وغيرها وفوق ذلك فهو يصدر جريدة خاصة بالعالم الاسلامي

﴿ الاوقاف العثمانية ﴾

تعني نظارة الاوقاف العثمانية بالاراضى المهملة التي اتخذت مقابر فان

فى أهم الاحياء فى المدن التركية غالبا وفى الاستانة خاصة أرضا أعدت لان تكون قبورا ليس الا والنظارة تفكر فى الانتفاع بهذه الارض وقد عنيت بتحويلها أبنية تصلح للسكنى . فاذا تم هذا المشروع ربحت خزينة الاوقاف منه مايقدر ريعه بمدة ملايين

التربية والتعليم

المرأة المصرية المسلمة

انى تأملت أحوال الامة المصرية وما فيها من الشقاء وفساد الاخلاق ثم اندفعت الى التفكر فى مناشىء المفاسد التي تقع عليها الابصار فى كل بقعة وفى كل وقت فهؤلاء اسمعوا نتائج بحثى

خلق الرجل للكفاح والجلاد والاسفار وركوب الاخطار وحماية الذمار والقيام على المستضعفين من النساء والولدان . لذلك عنيت الامم الحكيمة الرشيدة بأخذ الرجل منها بكل ما يجعله صالحا لتأدية ماخلق لاجله من تلكم التكاليف الشاقة

أما في مصر فلا يخرج بعض الشبان من منازلهم الا بعد أن يقضوا امام المرايا الساعات العديدة صارفين الوقت في فرق الرؤوس وفتل الشوارب واحكام البنائق وتسوية الاربطة الرقبية الهفافة وتخير مواقع الطرابيش من الرؤوس وتضييق السراويل المحددة لما يوجب الدين والحياء والادب ستره من أجزاء الجسم . يعمل ذلك الشاب وهو رجل يراد منه أن يخشوشن فى عيشه ليستطيع القيام بما ألقي على كواهله من تكاليف الحياة